سُورَةُ سَبَإٍ

مكية وآياتها أربع وخمسون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾

اللغــــة :

(يعزب) : في المصباح : « وعزب الشيء من بابي قتل وضرب غاب وخفي » وفي الأساس : « يقــال : عزب عنه حلمه وأعزب حلمه كقولك أضــل بعــيره وأعزب الله عقلك وروض عازب وعزيب ومال عَزَب وجَشَر" ولا يكون الكلأ العازب إلا بفــلاة حيث لا زرع ، وفلان معزاب ومعزابة لمن عزب بابله ، ويقال عزب ظهر المرأة إذا أغابت ، ومن المستعار قول النابغة :

وصــــدر أراح الليــل عازب همــــه
تضاعف فيــه الحزن من كـــل جانب

ولك أن تقول امرأة عَزَبة والمعزابة الذي طالت عزوبته وتمادت ويقال ليس لفلان امرأة تعــذبه أي تذهب بعزوبته » وفي القاموس : « العَزَب محركة من لا أهل له كالمِعزابة والعزيب ولا تقل أعزب أو قليــل جمعــه أعزاب وهي عَزَبة وعَزَب والاسم العُزبة والعزوبة بضمتين والفعــل كنصر وتعزّب ترك النكاح والعزوب الغيبة يعزُب ويعزِب والذهاب » ومن غريب أمر العين والزاي أنهما إذا كانتا فاء وعيناً للكلمة دلت عــلى معنى الذهاب والبعــد والانفراد والغلبة وفي الحديث : من قرأ القرآن في أربعــين ليلة فقد عزّب أي أبعــد العهد بأوله . وعز الرجل صار عزيزاً أي أبعد عن غيره بصفاته حتى سما عليهم وعز الشيء قلّ فكاد لا يوجد وعز عليّ أن أسوءك أي اشتد وغلب وتقول للرجل : أتحبني ؟ فيقول لعزّما ولشدّما واستعزّ به المرض أي غلب واشتد . وتعزز لحم الناقة اشتد وصلب « فعززنا بثالث »

أي قوينا وعَزَّز بهم أي شَدد عليهم ولم يرخَّص ومنه حديث عمر رضي الله عنه : أن قوماً اشتركوا في صيد فقالوا له : أعلى كلّ واحد منا جزاء أم جزاءٌ واحد ؟ فقال : إنه لمعزَّز بكم إذن بل عليكم جزاء واحد . وعزف عن الشيء عافه وزهد فيه والعزف صوت الرياح وصوت الدف تقول : فلان ألهاه ضرب المعازف عن ضروب المعازف ، وسلكت مفازة فيها للجن عزيف . وعزله يعزله من باب ضرب عن كذا نحاه عنه وعزل فلاناً عن منصبه : نحاه عنه وصرفه وتقول : مالي أراك في معزل عن أصحابك ؟ وأنا بمعزل عن هذا الأمر واعتزلت الباطل وتعزلته قال الأحوص :

يا بيت عاتكة الذي أتعزل حذر العدا وبه الفؤاد موكل

وأعوذ بالله من الأعزل على الأعزل أي من الرجل الذي لا سلاح معه على الفرس المعوج العسيب فهو يميل ذنبه الى شق قال امرؤ القيس :

ضليع إذا استدبرته سدّ فرجه

بضاف فويق الأرض ليس بأعزل

واعتزم الفرس في عنانه إذا مرّ جامحاً لا ينثني ، قال :

سبوحٌ إذا اعتزمت في العنان مَرُوحٌ ململمة كالحجر

وعزمت على الأمر واعتزمت عليه ولا يكون ذلك إلا عن شدة وغلبة وهو عِزْهَاةٌ عن اللهو والنساء إذا لم يردهنّ وابتعد عنهنّ ، قال :

إذا كنت عزهـــاة عن اللّهـــو والصبا

فكن حجراً من يابس الصخر جلمـــدا

وعزا الشيء أو فلاناً الى فلان نسبه ورفعه إليه ، وإن فلاناً ليعزى الى الخير ويعتزي اليه وهذا الحديث ُيعزى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيتهم حوله عزين أي جماعات . وهذا من أسرار لغتنا الشريفة .

(رجز) : بكســر الراء وضمهـا العـــذاب أو سيئه والإثم والذنب والقذر .

الاعراب :

(الحمــد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض) الحمــد مبتدأ ولله خبره والــذي نعت وله خبر مقــدم وما مبتدأ مؤخر وفي السموات صلة وما في الأرض عطف على ما في السموات . (وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير) الواو عاطفة وله خبر مقدم والحمد مبتدأ مؤخر وفي الآخرة حال وهو مبتدأ والحكيم خبر أول والخبير خبر ثان . (يعلــم ما يلج في الأرض وما يخرج منها) لك أن تجعلها جملة خبرية فتكون خبراً ثالثاً لهو كأنها تفصيـــل لبعض ما يحيط به علمه تعالى من الأمور المتعلقة بمصالح العباد الدينية والدنيوية ولك أن تجعلهـا حالاً مؤكـدة ولك أن تجعلهـا مستأنفة مسوقة لتقرير ما تقدم . ويعلم فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى وما مفعول به وجملة يلج صلة وفي الأرض متعلقان بيلج وما يخرج عطف عــلى ما يلـــج في الأرض . (وما ينزل من السماء

وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور) عطف على ما تقدم وضمن العروج معنى الاستقرار فعدّاه بفي دون إلى • (وقـال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم) الواو استئنافية وقال الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة ولا نافية وتأتينا الساعة فعل مضارع ومفعول به وفاعل وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وبلى حرف جواب لاثبات النفي أي ليس الأمر إلا إتيانها وربي : الواو حرف قسم وجر وربي مجرور بواو القسم ، أكـد إيجاب النفي بمـا هو الغاية في التأكيـد والتشديد وهو القسم بالله عز وجـل واللام جواب للقسم وتأتينكم فعل مضارع مبني عـلى الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والكاف مفعول به وهو تأكيد ثالث •

(عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) عالم صفة لربي أو بدل ويجوز أن يرفع عـلى أنه خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره جملة لا يعزب وقد قرىء بهما وجملة لا يعزب إما خبر أو حال وعنه متعلقان بيعزب ومثقال ذرة فاعل وفي السموات حال ولا في الأرض عطف على في السموات • (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) الواو عاطفة ولا نافية وأصغر من ذلك مبتدأ ومن ذلك خبر ولا أكبر عطف على ولا أصغر وإلا أداة حصر وفي كتاب مبين خبر أصغر ولك أن تنسق الكلام فتعطف ولا أصغر على مثقال ويكون في كتاب في محـل نصب عـلى الحال والأول أولى • (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) ليجزي اللام للتعليل ويجزي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجارّ والمجرور متعلقان بتأتينكم كأنه علة وبيان لما يقتضيه إتيانها أو بقوله لا يعزب فكأنه قال يحصي ذلك ليجزي والذين مفعول به وجملة آمنوا

صلة الذين وعملوا الصالحات عطف على آمنوا وأولئك مبتدأ ولهم خبر مقدم ومغفرة مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر أولئك ورزق عطف على مغفرة وكريم صفة .

﴿ والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ﴾ الواو إما عاطفة فيكون الذين منسوقاً على ما قبله أي ويجزي الذين سعوا ويجوز أن تكون استئنافية فيكون الذين مبتدأ وجملة سعوا صلة وفي آياتنا متعلقان بسعوا على تقدير مضاف أي في إبطال آياتنا بالطعن فيها أو وصفها بالسحر والشعر وغير ذلك ومعاجزين حال ، قال الراغب : « أصل معنى العجز التأخر لكون المتأخر خلف عجز السابق أو عنده ثم تعورف فيما هو معروف ظاهراً فالمراد هنا بالمعاجزة التأخر المسبوق بتقدم السابق ومعنى المفاعلة غير مقصود هنا إذ المقصود السبق وعدم قدرة غيرهم عليهم لغلبتهم وذلك كله بناء على مزاعمهم الفاسدة وأهوائهم المتخيلة . وأولئك مبتدأ ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية مستأنفة على الوجه الأول أو خبر الذين على الوجه الثاني ومن رجز صفة لعذاب وأليم صفة ثانية . ﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ﴾ ويرى في موضع الرفع على أنه مستأنف أو في موضع النصب فهو منسوق على يجزي والذين فاعل يرى وجملة أوتوا العلم صلة والذي مفعول يرى الأول لأنها قلبية وجملة أنزل صلة واليك متعلقان بأنزل ومن ربك حال أو متعلقان بأنزل أيضاً وهو ضمير فصل لا محل له والحق هو المفعول الثاني ليرى .

﴿ ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ﴾ ويهدي عطف على الحق وساغ العطف لأن الفعل في تأويل الاسم كأنه قيل وهادياً ولك أن

تجعل الواو حالية والجملة في محل نصب على الحال ويجوز أن تكون مستأنفة وفاعل يهدي ضمير مستتر يعود علـى الذي أنزل إليك وإلى صراط متعلقان بيهدي والعزيز مضاف الى صراط والحميد نعت •

البلاغـة :

١ ــ في قولـه « الحمـد لله » التعبير بالجملة الاسمية يفيد الاستمرار والثبوت ، والحمد لغة الوصف بالجميل الاختياري عـلى قصد التعظيم ، والوصف لا يكون إلا باللسان فيكون مورده خاصاً ، وهذا الوصف يجوز أن يكون بإزاء نعمة وغيرها فيكون متعلقه عاماً ، والشكر اللغوي على العكس لكونه فعلاً ينبيء عن تعظيم المنعم من حيث أنه منعم على الشاكر فيكون مورده اللسان والجنان والأركان ومتعلقه النعمة الواصلة الى الشاكر فكل منهما أعم وأخص من الآخر بوجه ، ففي الفضائل حمد فقط وفي أفعال القلب والجوارح شكر فقط وفي فعل اللسان بإزاء الانعام حمد وشكر •

٢ ــ شكر المنعم واجب أم لا :

قال الأشاعرة : شكر المنعم ليس بواجب أصلاً ومثلوها بتمثيل فقالوا : ليس مثله إلا كمثل الفقير حضر مائدة ملك عظيم يملك البلاد شرقاً وغرباً ، ويعم البلاد وهباً ونهباً ، فتصدق عليه بلقمة خبز فطفق يذكره في المجامع ويشكره عليها بتحريك أنملته دائماً لأجله فإنه يعد استهزاء بالملك فكذا هنا بل اللقمة بالنسبة الى الملك وما يملكه أكثر مما أنعم الله به على العبد بالنسبة الى الله ، وشكر العبد أقـل قدراً في جنب الله من شكر الفقير بتحريك أصابعه • وقالت المعتزلة : التمثيل

المناسب للحال أن يقـال : إذا كان في زاوية الخمول وهاوية الذهول رجل أخرس اللسان مشلول اليدين والرجلين فاقد السمع والبصر بل جميع الحواس الظاهرة والمشاعر الباطنة فأخرجه الملك من تلك الهاوية وتلطف عليه باطـلاق لسانه وإزالة شلل أعضائه ووهب له الحواس لجلب المنافع ودفع المضار ورفع رتبته على كثير من أتباعه وخدمه ثم إن ذلك الرجـل بعـد وصول تلك النعم الجليلة اليه وفيضان تلك التكريمات عليه طوى عن شكر ذلك الملك كشحاً وضرب عنه صفحاً ولم يظهر منـه ما ينبىء عن الاعتناء بشيء من غير فرق بين وجودها وعدمها فلا ريب أنه مذموم بكل لسان ، مستحق للإهانة والخذلان .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾

الاعراب :

(وقال الذين كفروا : هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق) الواو استئنافية وقال الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة أي قال بعضهم لبعض وهل حرف استفهام وندلكم فعل مضارع وفاعل

مستتر ومفعول به وعلى رجل متعلقان بندلكم والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم ، وسيأتي سر تنكيره في باب البلاغة ، وجملة ينبئكم صفة لرجل وإذا ظرف مستقبل متعلق بمحذوف تقديره تبعثون أو تحشرون خلقاً جديداً ولا يجوز تعليقه بينبئكم لأن التنبئة لم تقع ذلك الوقت ولا بمزقتم لأنه مضاف اليه والمضاف إليه لايعمل في المضاف،ولا بجديد لأن إن ولام الابتداء يمنعان من ذلك لأن لهما الصدر ، وأيضاً فالصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف ولا يسوغ أن يقال قدرها خالية من معنى الشرط فتغني عن جوابها وتكون معمولة لما قبلها وهو قال أو ندلكم أو ينبئكم لأن هذه الأفعال لم تقع وقت التمزيق فلا تكون إذا ظرفاً لها إذ لا يقال لهم بعد تمزيقهم وإنما وقعت حال حياتهم ، وكان الرجل من الكفار يقول لأصحابه استهزاءً بالنبي صلى الله عليه وسلم : هل أدلكم على رجل ... الخ . ومزقتم فعل ماض مبني للمجهول والتاء نائب فاعل وكل ممزق مفعول مطلق لأن كلاً بحسب ما تضاف إليه وقد أضيفت الى ممزق وهو مصدر ميمي بمعنى تمزيق ، وأجاز الزمخشري أن يكون اسم مكان قال : « فإن قلت قد جعلت الممزق مصدراً كبيت الكتاب :

ألم تعلم مسرحي القوافي فلا عيابهن ولا اجتلابا

فهل يجوز أن يكون مكاناً ؟ قلت نعم ومعناه ما حصل في بطون الطير وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الريح فطرحته في كل مطرح » وعلى هذا يكون كل ظرف مكان. (إنكم لفي خلق جديد) إن وما بعدها سدت مسد مفعولي ينبئكم وإنما كسرت همزتها لدخول اللام المزحلقة في خبرها وأن واسمها واللام المزحلقة

المؤكدة وفي خلق خبر إن وجديد صفة خلق وهو فعيل بمعنى فاعل وقيل بمعنى مفعول • (أفترى على الله كذباً أم به جنة) الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل في التوصل للنطق بالساكن وعلى الله متعلقان بافترى وكذباً مفعول افترى وأم حرف عطف معادل لهمزة الاستفهام وبه خبر مقدم وجنة مبتدأ مؤخر أي جنون • (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) بل حرف عطف واضراب والذين مبتدأ وجملة لا يؤمنون صلة وبالآخرة متعلقان بيؤمنون وفي العذاب خبر المبتدأ والضلال عطف على العذاب والبعيد نعت للضلال وسيأتي معنى هذا النعت في باب البلاغة •

(أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) كلام مستأنف مسوق لتهويل ما اجترءوا عليه وقالوه والهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء عاطفة على محذوف يقدر بحسب المقام أي أعموا فلم يروا أو أن الهمزة مقدمة على حرف العطف وقد تقدم تقرير هذا ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ويروا فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والى ما متعلقان بيروا والظرف متعلق بمحذوف صلة ما وأيديهم مضاف إليه وما خلفهم عطف على ما بين أيديهم ومن السماء حال والأرض عطف على السماء •

(إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء) إن شرطية ونشأ فعل الشرط ونخسف جوابه وبهم متعلقان بنخسف والأرض مفعول به وأو حرف عطف ونسقط عطف على نخسف وعليهم متعلقان بنسقط وكسفاً مفعول به ومن السماء صفة لكسفاً •

(إن في ذلك لآية لكل عبد منيب) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآية اسمها المؤخر ولكل عبد صفة لآية ومنيب صفة لعبد .

البلاغـة :

المجاز العقلي في قوله « والضلال البعيد » لأن البعد وصف الضال إذا بعد عن الجادة المستقيمة وكلما أوغل في البعد عنها أوغل في الضلال .

* وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾

اللغـــة :

(أوّبي) : فعـــل أمر من التأويب والأوب أي رجعي معـه التسبيح أو راجعي معه في التسبيح لأنه إذا رجعه فقد رجع فيه •

(سابغات) : دروعاً واسعة ضافية •

(وقد ورد في السرد) : السرد نسج الدرع قال في الأساس : « سرد النعل وغيرها خرزها ، قال الشماخ يصف حمرا :

شككنا باحساء الـذناب عـــلى هوى

كمـــا تابعت ســـرد العنان الخوارز

أي تتابعن على هوى الماء • وثقب الجلد بالمسرد والسّراد وهو الأشفى الذي في طرفه خرق وسرد الدرع إذا شك طرفي كل حلقتـين وسمرهما ودرع مســرودة ولبوس مُسرَّد » وقـــال أبو الطيـب يصف قميصه :

مفرشي صهـــوة الحصـــان ولكـن

قميصي مســـرودة من حـــديد

المسرودة المنسوجة من الحديد وهي الدروع • ومعنى التقدير في السرد أي لا تجعـل المسامير دقاقاً فتقلق ولا غلاظاً فتفصم الحلق والمراد جعل السرد على قدر الحاجة ، وذهب الخطيب في تفسيره مذهباً طريفاً قال : « قوله تعالى : وقدر في السرد أي انك غير مأمور به أمر إيجاب وإنما هو اكتساب والكسب يكون بقدر الحاجة وباقي الأيام

والليالي للعبادة فقدر في ذلك العمل ولا تشتغل جميع أوقاتك بالكسب بل حصل فيه القوت فحسب » ولكن سياق الحديث يبعد هذا التأويل لأنه في صدد الحديث عن الدروع ونسجها واحكامها وتقدير صنعها . وفي المختار : « سرد الدرع أي نسجها وهو ادخال الحلق بعضها في بعض يقال سرد الدرع سرداً من باب نصر » .

(غدوها) : سيرها غدوة وهي ما بين الفجر وطلوع الشمس ، يقال : غدا يغدو غدواً ذهب غدوة ويستعمل بمعنى صار فيرفع المبتدأ وينصب الخبر .

(رواحها) : سيرها في الرواح أي العشي .

(القطر) : بكسر القاف النحاس المذاب وسيأتي سر تسميته بعين القطر في باب البلاغة .

(محاريب) : المحاريب : المساكن والابنية الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لأنه يذب عنها ويحارب عليها ثم نقل الى الطاق التي يقف الامام فيها وهي مما أحدث في المساجد والمفرد محراب .

(تماثيل) : جمع تمثال وهو الصورة المصوّرة أو هو ما تصنعه وتصوره مشبهاً بخلق الله من ذوات الروح والصورة ، روي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما .

(جفان) : جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة .

(كالجواب) جمع جابية وهي الحوض الكبير وسمي جابية لأن الماء يجبى فيه أي يجمع ، قال الأعشى يمدح المحلق :

نفى الذم عن آل المحلق جفنة
كجابية السيح العراقي تفهق

الجفنة قصعة الثريد والجابية الحوض يجبي الماء أي يجمعه الى الحوض والسيح الماء الكثير الجاري وفهق يفهق كفرح يفرح اتسع وامتلأ حتى يتصبب ، قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل .

(قدور راسيات) : القدور جمع قدر بكسر القاف وهو إناء يطبخ فيه ، وراسيات ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها .

الاعراب :

(ولقد آتينا داود منا فضلاً) الواو استئنافية واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا داود فعل ماض وفاعل ومفعول به ومنا متعلقان بآتينا أو بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لفضلاً وفضلاً مفعول به ثان . (يا جبال أوّبي معه والطير وألنّا له الحديد) جملة النداء معمول قول محذوف أي وقلنا ، وأجاز الزمخشري أن تكون بدلاً من فضلاً ويا حرف نداء وجبال منادى نكرة مقصودة وأوّبي فعل أمر مبني على حذف النون والياء فاعل ومعه ظرف مكان متعلق بأوّبي والطير عطف على محل جبال وهو النصب وقرىء بالرفع عطفاً على اللفظ وسيأتي حكم المنسوق على المنادى في باب الفوائد ، وألنّا عطف على آتينا وألنّا فعل ماض وفاعل وله

متعلقان بألنّا والحديد مفعول به • (أن اعمل سابغات وقدّر في السرد) أن مصدرية مؤولة بما بعدها بمصدر منصوب بنزع الخافض أي لأن أعمل واختار أبو البقاء أن تكون مفسرة وتبعه الجلال وهذا مردود لأن شرط أن المفسرة أن يتقدم عليها ما هو بمعنى القول دون حروفه وقدر بعضهم فعلاً فيه معنى القول فقال : التقدير أمرناه أن اعمل ، وسابغات صفة لمفعول به محذوف أي دروعاً سابغات ، والسابغات الكوامل الواسعات ، وقدر فعل أمر وفي السرد متعلقان بقدر •

(واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير) واعملوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وصالحاً مفعول به أو صفة لمفعول مطلق محذوف أي عملوا عملاً صالحاً وإن واسمها وبما تعملون متعلقان ببصير وبصير خبر إن • (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر) الواو عاطفة ولسليمان متعلقان بالفعل المحذوف أي وسخرنا لسليمان الريح فالريح مفعول للفعل المحذوف وذلك على قراءة النصب وعلى قراءة الرفع هي مبتدأ مؤخر ولسليمان خبر مقدم وجملة غدوها شهر المؤلفة من المبتدأ والخبر حال من الريح وقيل هي مستأنفة وجملة ورواحها شهر عطف عليها • (وأسلنا له عين القطر) عطف على سخرنا المقدرة وأسلنا فعل ماض وفاعل وله متعلقان بأسلنا وعين القطر مفعول به • (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه) لك أن تعلق من الجن بفعل مقدر تقديره وسخرنا له فتكون من مفعولاً به للفعل المقدر ولك أن تجعل الجار والمجرور خبراً مقدماً فتكون مبتدأ مؤخراً وجملة يعمل صلة وبين يديه الظرف متعلق بيعمل وبإذن ربه متعلقان بمحذوف حال • (ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير)

الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويزغ فعل الشرط ومنهم حال وعن أمرنا متعلقان بيزغ ونذقه فعل الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر المبتدأ ومن عذاب السعير متعلقان بنذقه .

(يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات) الجملة بدل من يعمل لتفصيل ما ذكر من عملهم وله متعلقان بيعملون وما مفعول به وجملة يشاء صلة ومن محاريب في موضع الحال من مفعول يشاء المحذوف أي يشاؤه ومنعت محاريب من الصرف لأنها جمع على صيغة منتهى الجموع وتماثيل عطف على محاريب وجفان عطف أيضاً وكالجواب صفة لجفان وحذفت ياء الجواب في خط القرآن وقدور راسيات عطف أيضاً . (اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور) كلام مستأنف مسوق للمنة على آل داود واعملوا فعل أمر وفاعل وآل داود منادى محذوف منه حرف النداء وشكراً مفعول لأجله أي لأجل الشكر وقيل مصدر من معنى اعملوا كأنه قيل اشكروا شكراً أو على الحال أي شاكرين وأجاز الزمخشري أن ينتصب باعملوا مفعولاً به ومعناه إنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكراً على طريق المشاكلة والواو حالية وقليل خبر مقدم والشكور مبتدأ مؤخر ومن عبادي صفة لقليل .

الفوائد :

لتابع المنادى أقسام أربعة :

١ ـ ما يجب نصبه مراعاة لمحل المنادى وهو ما اجتمع فيه أمران أحدهما أن يكون التابع نعتاً أو بياناً أو توكيداً ، والثاني أن يكون التابع مضافاً مجرداً من ال .

٢ ــ ما يجب رفعه مراعاة للفظ المنادى وهو تابع أي وتابع اسم الاشارة .

٣ ــ ما يجوز رفعه ونصبه وهو نوعان أحدهما النعت المضاف المقرون بأل ، والثاني ما كان مفرداً من نعت أو بيان أو توكيد أو كان معطوفاً مقروناً بأل ومنه الآية التي نحن بصددها .

٤ ــ ما يعطي تابعاً ما يستحقه اذا كان منادى مستقلاً وهو البدل والمنسوق المجرد من أل فيضم ان كان مفرداً وينصب ان كان مضافاً .

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

اللغـــة :

(منسأته) : المنسأة مفعلة اسم آلة وهي العصا لأنه ينسأ بها أي يطرد ويؤخر كالمكنسة والمكسحة والمقعصة وقرأ نافع وأبو عمرو وجماعة منساته بألف .

الاعراب :

(فلما قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) الفــاء استئنافية ولما ظرفية حينية أو رابطــة متضمنة معنى الشرط وجملة قضينا مضاف اليها الظرف على الوجه الأول ونا فاعل

وعليه متعلقان بقضينا والموت مفعول به وما نافية ودلهم فعل ماض ومفعول به وعلى موته متعلقان بدلهم وإلا أداة حصر ودابة الأرض فاعل دلهم والجملة لا محل لها لأنها جواب لما على الوجهين ودابة الأرض هي الدويبة التي يقال لها السرقة فأضيفت إليه يقال أرضت الخشبة أرضاً إذا أكلتها الأرضة وجملة تأكل منسأته حال من دابة الأرض . (فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) الفاء عاطفة ولما تقدم القول فيها قريباً وخرّ فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على سليمان وجملة تبينت الجن جواب لما لا محل لها وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ولو شرطية وجملة كانوا خبر أن وأن وما في حيزها بدل اشتمال من الجن على حد قولك تبين زيد جهله ، وقدره أبو البقاء بدلاً من محذوف أي تبين أمر الجن وهو أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ، وأجاز أيضاً أن يكون موضع أن وصلتها النصب أي تبينت الجن جهلها ولا مانع من هذين التقديرين ، وجملة يعلمون الغيب خبر كانوا وجملة ما لبثوا لا محل لها لأنها جواب لو وفي العذاب متعلقان بلبثوا والمهين صفة للعذاب .

الفوائد :

أفاض المفسرون في الحديث عن قصة وفاة سليمان مما يخرج بنا عن نطاق كتابنا ولكننا نورد بعضاً مما قيل في دابة الأرض لعلاقته باللغة ، ويتلخص مما أوردوه أن فيها وجهين : أظهرهما ما قدمناه في باب البلاغة من أنها الدويبة التي تأكل الخشب وفي القاموس والتاج : « والدابة ما دبّ من الحيوان وغلب على ما يركب ويقع على المذكر ، ودابة الأرض من أشراط الساعة أو أولها تخرج بمكة من جبل الصفا

ينصـدع لها والناس سائرون الى منى . و من الطائف أو بثلاثة أمكنة ثلاث مرات معهـا عصا موسى وخاتم سليمان عليهمـا السلام تضرب المؤمن بالعصا وتطبع وجه الكافر بالخاتم فينتقش فيه هـذا كافر » والثاني أن الأرض مصدر قولك أرضت الدابة الخشبة تأرضها أرضاً بفتح عين المصدر وقد قرأ بها ابن عباس والعباس ابن الفضل وقد تقدم البحث في حركة عين فعل الثلاثي فجدد به عهداً .

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

اللغــة :

(العرم) : لم نجـد كلمـة اختلف فيها المفسرون كهذه الكلمة

ولذلك ، سنورد ما نختاره من أقوال ثم نعمد الى الترجيح بينها ؛ ونبدأ بما ذكره صاحب القاموس قال في مادة عرام : « عرام الجيش حدتهم وشدتهم وكثرتهم ومن العظم والشجر العُراق وما سقط من قشر العوسج ومن الرجل الشراسة والأذى ، عرم كنصَر وضرُب وكرُم وعلم عَرامة وعُراماً بالضم فهو عارم وعرم اشتد والصبي علينا أشِر ومَرِح أو بطر أو فسد ويوم عارم نهاية في البرد وعرم العظم نزع ما عليه من لحم كتعرّمه والصبي أمه رضعها والابل الشجر نالت منه وفلاناً أصابه بعرام وعرم العظم كفرح فتر والعرم محركة والعُرمة بالضم سواد مختلط ببياض في أي شيء كان أو هو تنقيط بهما من غير أن تتسع كل نقطة وبياض بمرمة الشاة وهو أعرم وهي عرماء وبيض القطا عُرْم والعرماء الحية الرّقشاء والأعرم المتلون والأبرش والقطيع من ضأن ومعزى والأقلف والجمع عُرمان وجمع الجسع عرامين والعَرَمة محركة رائحة الطبيخ والكُدسُ المدوس لم يُذَرَّ ومجتمع الرمل وأرض صلبة تتاخم الدّهناء ويقابلها عارض اليمامة وكفرحه سد يعترض به الوادي والجمع عَرِم أو هو جمع بلا واحد أو هو الأحباس تبنى في الأودية والجرذ الذكر والمطر الشديد وواد وبكل فسر قوله تعالى : سيل العرم » واختار الجلال أن يكون العرم جمع عرمة وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره الى وقت حاجته وهذا ما نعبر عنه اليوم بالسدود وهو أولى ما تفسر به الآية وقد يحدث تصدع السدود وانهيارها بأسباب مختلفة .

(ذواتا) : مثنى ذوات أو ذات ولفظ ذوات مفرد لأن أصله ذوية فالواو عين الكلمة والياء لامها لأنه مؤنث ذو وذو أصله ذوى فلما تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً فصار ذوات ثم حذفت

الواو تخفيفاً فعنـــدما يراد تثنيته يجوز أن ينظر للفظــه فيقال ذاتان ويجوز أن ينظر الى أصله فيقال ذواتان •

هــذا وذات مؤنث ذو ومثناها ذواتان والجمع ذوات ويعرب المؤنث والمثنى والجمــع إعراب نظــيره من الأسماء المفردة والمثنــاة والمجموعة ، يقال لقيته ذات يوم أو ذات ليلة أو ذات مرة أي يوماً ما ومرة ما ، وكــان ذلك ذات العويم أي السنة الماضــية وجلس ذات اليمين أي عن اليمين ولقيته أول ذات يدين أي بادىء بدء وذات الصدر الفكر أو السر وذات اليمين أي جهتها وذات البين : الحال يقال أصلحوا ذات بينكم أي حالكم التي تجتمعون عليها وذات شفة كلمة يقال : كلمته فما رد علي ذات شفة وذات اليد ما تملكه يقال : قلّت ذات يده أي ما ملكت يده ويقال ألقت الدجاجة ذات بطنها أي باضت أو سلحت وذات الجنب عند الأطباء : التهاب يحدث في غلاف الرئة فيحدث منه سعال وحمى ونخس في الجنب وذات الرئة وذات الصدر وذات الكبد علل فيها ، والذات أيضاً : ما يصلــح لأن يعلم ويخبر عنه وذات الشيء : نفسه وعينه وجوهره واسم الذات عنــد النحاة ما علق على ذات كالرجــل والأسد ويقابله اسم المعنى كالعلم والشجاعة ، والذوات عند المولدين : أكابر القوم •

(أكل خمط) : الأكل بضمتين وبضم فسكون الثمر أو ما يؤكل والخمط المر والحامض يقــال خمر خمْطة : حامضة ولبن خامض : قارص متغير وفي المختار : « الخمط ضرب من الأراك له حمل يؤكل » وعن أبي عبيدة : « كل شجر ذي شوك » وقال الزجاج : « كل نبت أخذ طعماً من مرارة حتى لا يمكن أكله » •

(أثل) : الأثلة : السمــرة وقيــل شجر من العضــاه طويلة

مستقيمة الخشبة تعمل منها القصاع والأقداح فوقعت مجازاً في قولهم: نحت أثلته إذا تنقّصه ، وفلان لا تنحت أثلته ، قال الأعشى :

ألست منتهياً عن نحت أثلتنا ولست ضائرها ما أطّت الإبل

ولفلان أثلة مال أي أصل مال ثم قالوا أثّلت مالاً وتأثلته وشرف مؤثّل وأثيل .

(سدر) : السدر : شجر النبق يطيب أكله ولهذا يغرس في البساتين وقيل ان السدر صنفان صنف يؤكل ثمره وينتفع بورقه في غسل الأيدي وصنف له ثمرة غضة لا تؤكل أصلاً وهو الضال .

الاعراب :

(لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) اللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وكان فعل ماض ناقص ولسبأ خبرها المقدم وفي مسكنهم حال من سبأ أي حال كونهم في مسكنهم وآية اسم كان المؤخر وقد تقدم القول مفصلاً في سبأ في سورة النمل فجدد به عهداً . (جنتان عن يمين وشمال) جنتان بدل من آية أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان وعن يمين وشمال صفة لجنتان ويبدو أن في بمعنى عند فإن المساكن محفوفة بالجنتين لا مظروفة لهما . (كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة وربٌّ غفور) الجملة مقول قول محذوف أي وقيل لهم بلسان الحال أو بلسان المقال وكلوا فعل أمر وفاعل والمراد بهذا الأمر الإباحة ومن رزق ربكم متعلقان بكلوا وبلدة خبر لمبتدأ محذوف يعني هذه البلدة بلدة طيبة وطيبة صفة ورب غفور عطف على ما تقدم أي وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور . (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم) الفاء عاطفة وأعرضوا فعل ماض

وفاعل ومتعلقه محذوف أي عن شكره فأرسلنا عطف على فأعرضوا وعليهم متعلقان بأرسلنا وسيل العرم مفعول به •

(وبدلناهم بجنتيهم جنّتين ذواتى أُكُل خمط وأثل وشيء من سدر قليل) وبدلناهم الواو عاطفة وبدلناهم فعل ماض وفاعل ومفعول به وبجنتهم متعلقان ببدلناهم وجنتين مفعول به ثان وذواتى صفة وأكل مضاف إليه وخمط صفة كأنه قيل أكل بشع وقرىء بالإضافة وعبارة أبي البقاء : « أكـل خمط : يقرأ بالتنوين والتقـدير أكل أكل خمط فحذف المضاف لأن الخمط شجر والأكل ثمره وقيل التقدير أكل ذي خمط وقيل هو بدل منه وجعل خمط أكلاً لمجاورته إياه وكونه سبباً له ويقرأ بالإضافة وهو ظاهر » وأثل عطف عـلى أكل وشيء عطف أيضاً ومن سدر صفة لشيء وقليـل صفة ثانية • (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور) ذلك مفعول ثان لجزيناهم مقدم عليه لأنه ينصب مفعولين أي جزيناهم ذلك التبديل وجزيناهم فعل ماض وفاعل ومفعول به أول وبمـا متعلقان بجزيناهـم والباء للسببية وما مصدرية أي بسبب صبرهم وهل حرف استفهام بمنى النفي ونجازي فعل مضارع وفاعله مستتر تقـديره نحن وإلا أداة حصـر والكفور مفعول به •

(وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة) الواو عاطفة وجعلنا فعـل وفاعل وبينهم الظرف متعلق بمحذوف مفعول به ثان لجعلنا وبين القرى عطف على بينهم والتي صفة للقرى وجملة باركنا فيهـا صلة للموصـول وقرى مفعول به أول وظاهـرة نعت والجملة معطوفة عـلى ما قبلها عطف قصة عـلى قصة فقد ذكر أولاً ما أسبغ

عليهم من نعمة الجنتين ثم تبديلهما بما سلف ذكره ثم جعل بلادهم متفاصلة متشتتة بعد أن كانت متواصلة ملمومة الشمل • (وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين) وقدرنا الواو عاطفة وقدرنا فعل ماض وفاعل وفيها متعلقان بقدرنا أو بالسير والسير مفعول به وجملة سيروا في محل نصب مقول قول محذوف وفيها متعلقان بسيروا وليالي وأياماً ظرفان متعلقان بسيروا أيضاً وآمنين حال ولم يتوجه معنا إعراب القرطبي لليالي وأياماً فقد قال أنهما منصوبان على الحال وسيأتي سر تنكيرهما في باب البلاغة • (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث) الفاء عاطفة وقالوا فعل وفاعل وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وباعد فعل أمر وبين ظرف متعلق بباعد وأسفارنا مضاف إليه وظلموا عطف على فقالوا وأنفسهم مفعول وذلك لأنهم بطروا وبشموا من طيب العيش وبلهنة الحال فطلبوا الكد والتعب والتنقل في البلاد ، فجعلناهم عطف على ظلموا أنفسهم وأحاديث مفعول به ثان لجعلناهم •

(ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبّار شكور) ومزقناهم عطف أيضاً وكل ممزق نائب مفعول مطلق أي فرقناهم تفريقاً لا التئام بعده • قال الشعبي « فلحقت الأنصار بيثرب وغسان بالشام والأزد بعمان وخزاعة بتهامة فكانت العرب تضرب بهم المثل فتقول تفرقوا أيادي سبأ وقد تقدم معنى هذا المثل وإعرابه في النمل فجدد به عهداً • وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآيات اسمها المؤخر ولكل صبار صفة لآيات وشكور صفة لصبار •

البلاغـة :

١ ـ المشاكلة :

في قوله « جنتين » فن المشاكلة وقد تقدم أنه ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته فقد سمى البدل جنتين للمشاكلة وفيه نوع من التهكم بهم ، قال أبو تمام :

والـــدهر ألأم من شـــرقت بلؤمـــه
إلا إذا أشـــرقتـــــه بكريـــــم

أي اقتصرت عليه بكريم فقال أشرقته مشاكلة •

٢ ـ التنكير :

وفي تنكير ليالي وأياماً إلماع إلى قصر أسفارهم فقد كانت قصيرة لأنهم يرتعون في بحبوحة من العيش ورغد منه لا يحتاجون الى مواصلة الكد وتجشم عناء الأسفار للحصول على ما يرفه عيشهم •

٣ ـ التذييل :

وفي قوله : « ذلك جزيناهم » الآية فن التذييل وقد تقدم بحثه أيضاً وهو قسمان الأول ما جرى مجرى المثل وقد تقدم بحثه أيضاً ، والثاني ما لـم يخرج مخرج المثل وهـو أن تكون الجملة الثانية متوقفة على الأولى في إفادة المراد أي وهل يجازى ذلك الجزاء المخصوص، ومضمون الجملة الأولى أن آل سبأ جزاهم الله تعالى بكفرهم ومضمون الثانية أن ذلك العقاب المخصوص لا يقـع إلا للكفور وفرق بين قولنا

جزيته بسبب كذا وبين قولنا ولا يجزى ذلك الجزاء إلا من كان بذلك السبب ولتغايرهما يصح أن يجعل الثاني علة للأول ولكن اختلاف مفهومهما لا ينافي تأكيد أحدهما بالآخر للزوم معنى .

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ (٢١) قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢)

الاعراب :

(ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين) الواو عاطفة على ما تقدم أو استئنافية واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وصدق فعل ماض وعليهم متعلقان بصدق وإبليس فاعله وظنه مفعوله كأنه ظن فيهم أمراً وواعده نفسه فصدقه وقرىء صدق بالتخفيف على المعنى نفسه فيكون ظنه منصوباً بنزع الخافض ويصح أن يكون مفعولاً به أيضاً ، وقرىء بنصب إبليس على المفعولية ورفع ظنه على الفاعلية وقرىء برفعهما معاً على أن يكون ظنه بدل اشتمال من إبليس ، فاتبعوه الفاء عاطفة واتبعوه فعل ماض وفاعل ومفعول به ،

ويجوز أن يكون الكلام خاصاً فالضمير يعود على أهل سبأ وأن يكون عاماً فالضمير يعود على بني آدم ، وإلا أداة استثناء وفريقاً مستثنى يجوز أن يكون منقطعاً ويجوز أن يكون متصلاً ومن المؤمنين صفة لفريقاً • (وما كان له عليهم من سلطان) الواو عاطفة وما نافية وكان فعل ماض ناقص وله خبرها المقدم وعليهم حال لأنه كان في الأصل نعت لسلطان ومن حرف جر زائد وسلطان مجرور لفظاً اسم ليس المؤخر محلاً •

(إلا لنعلم َمن يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) إلا أداة حصر واللام للتعليل وقيل للعاقبة والاستثناء مفرغ من أعم العلل فهو في محل نصب مفعول لأجله ونعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ، ومن يجوز أن تكون استفهامية فتسد مسد مفعولي العلم وتكون في محل رفع مبتدأ وجملة يؤمن بالآخرة خبر ، ويجوز أن تكون موصولة في محل نصب مفعول نعلم وهذا أرجح وجملة يؤمن صلة وبالآخرة متعلقان بيؤمن وممن جار ومجرور متعلقان بنعلم لأنه متضمن معنى نميز وهو مبتدأ ومنها حال لأنه كان في الأصل صفة لشك وفي شك خبر والجملة صلة • (وربك على كل شيء حفيظ) وربك مبتدأ وعلى كل شيء متعلقان بحفيظ وحفيظ خبر ربك • (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) قل فعل أمر مبني على السكون وحرك بالكسر للتخلص من التقاء الساكنين وجملة ادعوا الذين مقول القول وجملة زعمتم صلة ومن دون الله صفة للمفعول الثاني المحذوف والمفعول الأول محذوف أيضاً تقديره زعمتوهم آلهة فحذف الأول لطول الموصول بصلته وحذف الثاني لقيام صفته ، أعني من دون الله مقامه • وهذا من أعجب الكلام وأوكده ونحن ننقل لك عبارة الزمخشري بنصها في هذا

الصدد قال : « فإن قلت أين مفعولا زعم ؟ قلت : أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول وأما الثاني فلا يخلو إما أن يكون من دون الله أو لا يملكون أو محذوفاً فلا يصح الأول لأن قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاماً و لاالثاني لأنهم ما كانوا يزعمون ذلك فكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي أن يكون محذوفاً تقديره : زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله : أهذا الذي بعث الله رسولاً استخفافاً لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لأنه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوماً فإذن مفعولا زعم محذوفان جميعاً بسببين مختلفين » .

(لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) الجملة حال من الذين زعمتموهم آلهة ولك أن تجعلها مستأنفة مسوقة لبيان حالهم ولا نافية ويملكون فعل مضارع وفاعل ومثقال ذرة مفعول به وفي السموات والأرض متعلقان بيملكون أو بمحذوف حال . (وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير) الواو عاطفة وما نافية ولهم خبر مقدم وفيهما حال ومن حرف جر زائد وشرك مجروراً لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر أو اسم ما على رأي من يجيز تقدم خبرها على اسمها والواو عاطفة أيضاً وما نافية وله خبر مقدم ومنهم حال ومن ظهير مبتدأ مؤخر كما تقدم .

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ * قُلْ

مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

اللغــــة :

(فزع عن قلوبهم) : بالبناء للمجهول وفزّع عنه بالتشديد أذهب عنه الفزع والفزع بفتحتين : الذعر والمخافة والإغاثة ، وفي الأساس : « وفزع عن قلبه : كشف الفزع عنه » فالتضعيف هنا للسلب كما يقال: قرّدت البعير أي أزلت قراده •

الاعراب :

(ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) الكلام مستأنف مسوق لبيان المصير الذي لا تنفع فيه شفاعة الشافعين إلا لمن سبق القلم بالإذن له • ولا نافية وتنفع الشفاعة فعل مضارع وفاعل وعنده ظرف متعلق بتنفع أو بمحذوف حال وإلا أداة حصر ولمن متعلقان بالشفاعة إذ يقال شفعت له أو بتنفع ، وللزمخشري بحث لطيف في متعلق هذه اللام نورده بنصه قال : « تقول الشفاعة لزيد على معنى أنه الشافع كما تقول : الكرم لزيد وعلى معنى أنه المشفوع له كما تقول : القيام لزيد فاحتمل

قوله : ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له أن يكون على أحد هذين الوجهين أي لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له أو لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له أي لشفيعه أو هي اللام الثانية في قولك أذن لزيد لعمرو أي لأجله وكأنه قيل : إ لا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه » وأذن فعل ماض مبني للمعلوم والفاعل مستتر يعود على الله وله متعلقان بأذن وقرىء أذن بالبناء للمجهول .

(حتى إذا فزع عن قلوبهم) حتى حرف غاية وجر والغاية لمحذوف يفهم من سياق الكلام كأنه قيل يتربصون ويتوقفون حائرين مشدوهين وجلين تتفارسهم المخاوف وتتقاذفهم الشكوك أيؤذن لهم أم لا حتى إذا فزع . وفزع بالبناء للمجهول ونائب الفاعل هو الجار والمجرور أي عن قلوبهم وقرىء بالبناء للمعلوم فيتعلق الجار والمجرور به أي فزع الله عن قلوبهم . (قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير) قالوا جواب إذا وما اسم استفهام وذا اسم موصول خبر والجملة مقول قال مقدم عليه وقال ربكم فعل وفاعل والجملة مقول قالوا الأولى وقالوا فعل وفاعل والحق منصوب بقول مقدر أي قال ربنا القول الحق ولك أن تعرب القول مفعولاً مطلقاً أو مفعولاً به والحق صفة وهو مبتدأ والعلي خبر أول والكبير خبر ثان وهو تتمة كلام الشفعاء . (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله) قل فعل أمر والفاعل مستتر يعود على الرسول تبكيتاً للمشركين وإلزاماً لهم بالاعتراف بالعجز ومن اسم استفهام مبتدأ وجملة يرزقكم خبر ومن السموات متعلقان بيرزقكم والأرض عطف على السموات وقل فعل أمر والله مبتدأ خبره محذوف أي الله يرزقنا أو خبر لمبتدأ محذوف أي هو الله .

(وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) الواو عاطفة وان واسمها أو إياكم ضمير منفصل معطوف على اسم إن واللام المزحلقة وعلى هدى خبر إن وأو حرف عطف على بابها عند البصريين وليست للشك وسيأتي المزيد من بحث هذا التركيب في باب البلاغة أو في ضلال عطف على قوله لعلى هدى ومبين صفة • (قل : لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون) لا نافية وتسألون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وعما متعلقان بتسألون وما موصولة أو مصدرية وأجرمنا فعل وفاعل ولا نسأل عما تعملون عطف على لا تسألون عما أجرمنا وسيأتي المزيد من بحثه أيضاً في باب البلاغة • (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم) جملة يجمع مقول القول وبيننا ظرف متعلق بيجمع وربنا فاعل يجمع ثم يفتح بيننا عطف على ما تقدم وبالحق حال وهو مبتدأ والفتاح خبر أول والعليم خبر ثان • (قل أروني الذين ألحقتم به شركاء) أروني فعل أمر والواو فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به أول لأن الرؤية علمية متعدية قبل النقل الى اثنين فلما جيء بهمزة النقل تعدت لثلاثة ، والذين اسم موصول مفعول به ثان لأروني وجملة ألحقتم صلة والعائد محذوف أي ألحقتموهم وهو المفعول الثاني وبه متعلقان بألحقتم وشركاء مفعول به ثالث لأروني ويجوز أن تكون الرؤية بصرية متعدية قبل النقل الى واحد فلما جيء بهمزة النقل تعدت لاثنين أولهما ياء المتكلم والثاني الموصول وشركاء نصب على الحال من العائد المحذوف أي بصروني الملحقين به حال كونهم شركاء وسيأتي معنى الأمر هنا في باب البلاغة •

(كلا بل هو الله العزيز الحكيم) كلا حرف ردع وزجر وبل حرف اضراب وهو ضمير الشأن مبتدأ والله مبتدأ ثان والعزيز الحكيم خبراه

والجملة خبر هو ، ولك أن تجعل هو ضميراً عائداً على الله وتعربه مبتدأ خبره الله والعزيز الحكيم صفتان •

البلاغـة :

حفلت هذه الآيات بضروب من البلاغة نوجزها فيما يلي :

١ ـ الفرائد :

في قوله « حتى إذا فزع عن قلوبهم » فن طريف يسمى فن الفرائد وهو أن يأتي المتكلم في كلامه بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من حب العقد وهي الجوهرة التي لا نظير لها بحيث لو سقطت من الكلام لم يسدّ غيرها مسدها وقد مرت نماذج منها ، وفي لفظة فزع عن قلوبهم من غرابة الفصاحـة مالا مزيد عليه • ومن شواهـد هذا الفن في الشعر قول أبي تمام :

ومعترك للشوق أهـدى به الهـوى
إلى ذي الهوى نجـل العيون ربائبا

فالفريدة في لفظـة معترك وقـد اقتبسها الشيخ عمـر بن الفارض فقال :

ما بـين معترك الأحـداق والمهـج
أنا القتيـل بـلا إثـم ولا حرج

٢ ــ الاستدراج :

في قوله : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » وهو فن يعتبر من البلاغة محورها الذي تدور عليه لأنه يستدرج الخصم ويضطره الى الإذعان والتسليم والعزوف عن المكابرة واللجاج فإنه لما ألزمهم الحجة خاطبهم بالكلام المنصف الذي يقول من سمعه للمخاطب به قد أنصفك صاحبك ونحوه قول الرجل لصاحبه :
مني ومنك وإن أحدنا لكاذب ، ومنه قول الشاعر حسان بن ثابت :

أتهجوه ولست له بكفء فشر كما لخير كما الفداء

وهو من قصيدة طويلة يهجو بها أبا سفيان قبل إسلامه والهمزة للاستفهام التوبيخي والواو حال أي لا ينبغي ذلك وشر وخير من قبيل أفعل التفضيل واختصا بحذف همزتهما تخفيفاً لكثرة استعمالهما لكن المراد بهما هنا أصل الوصف لا الزيادة فيه والشر أبو سفيان والجملة دعائية دعا عليه بأن يكون فداء لرسول الله وأبرزه في صورة الابهام لأجل الإنصاف في الكلام ولذلك لما سمعه الحاضرون قالوا : هذا أنصف بيت قالته العرب •

٣ ــ المخالفة في الحروف :

وفي هذه الآية مخالفة بين حرفي الجر فإنه إنما خولف بينهما في الدخول على الحق والباطل لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركض به حيث شاء وصاحب الباطل كأنه

منغمس في ظلام منخفض فيه لا يدري أين يتوجه ، وهذا معنى دقيق قلّما يراعى مثله في الكلام وكثيراً ما سمعنا إذا كان الرجل يلوم أخاه أو يعاتب صديقه على أمر من الأمور فيقول له : أنت على ضلالك القديم كما أعهدك فيأتي بعلى في موضع في ، وإن كان هذا جائزاً إلا أن استعمال « في » هنا أولى لما أشرنا إليه والاستعارة التصريحية واضحة وقد تقدمت في غير هذا الموضع .

٤ ـ معنى الأمر :

قوله « أروني » أمرهم بإراءته الأصنام مع كونها بمرأى منه لإظهار لخطئهم واطلاعهم على بطلان رأيهم .

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا

بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

الاعراب :

(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون) الواو استئنافية وما نافية وأرسلناك فعل وفاعل ومفعول به وإلا أداة حصر وكافة حال من الكاف في أرسلناك أو من الناس أي للناس كافة على رأي من يجيز تقدم الحال على الجار والمجرور ، أو صفة لمصدر محذوف أي إرسالة كافة للناس وسيأتي المزيد من بحث « كافة » في باب الفوائد وهو بحث ممتع • وللناس صفة لكافة أو بكافة وبشيراً ونذيراً حالان من الكاف ولكن حرف مشبه بالفعل وأكثر الناس اسمها وجملة لا يعلمون خبرها • (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) الواو استئنافية ويقولون فعل مضارع وفاعل ومتى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية وهذا الظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر والوعد بدل وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وصادقين خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله • (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) لكم خبر مقدم وميعاد يوم مبتدأ مؤخر وهو مصدر مضاف الى الظرف وجملة لا تستأخرون صفة ليوم أو لميعاد وعنه متعلقان بتستأخرون وساعة ظرف متعلق بتستأخرون أيضاً ولا تستقدمون عطف على لا تستأخرون •

(وقال الذين كفروا : لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) قال الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة ولن حرف نفي ونصب واستقبال ونؤمن فعل مضارع منصوب بلن والجملة مقول القول وبهذا متعلقان بنؤمن والقرآن بدل و لابالذي عطف على بهذا القرآن وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة للذي ويديه مضاف الى الظرف والمراد بما بين يدي القرآن ما تقدمه من كتب الله عز وجل . (ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول) لو شرطية وترى فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنت وهو فعل الشرط والجواب محذوف أي لرأيت العجب العجاب أو لرأيت حالاً مذهلة وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بترى والظالمون مبتدأ وموقوفون خبر أي محبوسون جمع موقوف اسم مفعول من وقف الثلاثي المتعدي فقد جاء في المصباح ما يلي : « وقفت الدابة تقف وقفاً ووقوفاً سكنت ووقفتها أنا يتعدى ولا يتعدى ووقفت الرجل عن الشيء وقفاً منعته عنه » وعند ربهم ظرف متعلق بموقوفون وجملة يرجع حال من ضمير موقوفون وبعضهم فاعل والى بعض متعلقان بيرجع والقول مفعول به ليرجع لأنه يتعدى (يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا) جملة يقول مفسرة ليرجع فلا محل لها والذين فاعل يقول وجملة استضعفوا صلة وللذين متعلقان بيقول وجملة استكبروا صلة .

(لولا أنتم لكنّا مؤمنين) لولا حرف امتناع لوجود وأنتم مبتدأ محذوف الخبر وجوباً أي موجودون واللام رابطة لجواب لولا وجملة كنا مؤمنين لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وكان واسمها ومؤمنين خبرها . (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا) قال

الذين فعل وفاعل وجملة استكبروا صلة وللذين متعلقان بقال وجملة استضعفوا صلة وهو بالبناء للمجهول والجملة مستأنفة . (أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين) الهمزة للاستفهام الإنكاري كأنهم أنكروا أن يكونوا هم الذين ارتكبوا جريرة صدهم عن الإيمان ، ونحن مبتدأ وجملة صددناكم خبر وعن الهدى متعلقان بصددناكم وبعد ظرف متلعق بمحذوف حال لوقوعه بعد المعرفة وإذ ظرف أضيف الى مثله توسعاً في الظروف وقيل : إذ بمعنى أن المصدرية وهو مفهوم تفسير الزمخشري وجملة جاءكم في محل جر بإضافة الظرف اليها وبل حرف اضراب وعطف وكنتم فعل ماض ناقص والتاء اسمها ومجرمين خبرها . (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) تقدم إعرابها وأثبتت حرف العطف هنا بينما حذفها في الجملة الآنفة لأنه كلام آخر للمستضعفين (بل مكر الليل والنهار) بل حرف اضراب ومكر الليل مبتدأ خبره محذوف أي مكر الليل والنهار صدنا أو خبر لمبتدأ محذوف أي سبب كفرنا مكر الليل والنهار ، وإضافة المكر الى الليل والنهار من باب الاسناد المجازي وقد تقدمت له نظائر فهو مصدر مضاف لمرفوعه وقال الزمخشري : « ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر اليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي » وأصل المكر في كلام العرب : الخديعة والحيلة .

(إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً) الظرف متعلق بمكر وجملة تأمروننا في محل جر بإضافة الظرف اليها وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض متعلق بتأمروننا ونجعل عطف على نكفر وله حال لأنه كان في الأصل صفة لأنداداً وأنداداً مفعول به ويجوز

أن يكون الجار والمجرور مفعول نجعل الثاني وأنداداً مفعول نجعل الأول . (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) الواو حالية أو استئنافية وأسروا فعل وفاعل والندامة مفعول به والضمير راجع الى الفريقين أي أضمر الفريقان الندامة على ما فعلوا من الكفر وأخفوها عن غيرهم أو أخفاها كل منهم عن الآخر مخافة الشماتة ولما ظرفية حينية متعلقة بأسروا وجملة رأوا في محل جر بإضافة الظرف اليها والعذاب مفعول به . (وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) الواو عاطفة وجعلنا فعل وفاعل والأغلال مفعول جعلنا الأول وفي أعناق الذين كفروا مفعوله الثاني والكلام من باب القلب والأصل وجعلنا أعناق الذين كفروا في الأغلال . (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) الجملة حال من الذين كفروا وهل حرف استفهام والاستفهام بمعنى النفي ويجزون فعل مضارع مبني للمجهول ونائب فاعل وإلا أداة حصر وما مفعول يجزون الثاني وجملة كانوا صلة وجملة يعملون خبر كانوا .

الفوائـد :

الأصل في الحال أن تتأخر عن صاحبها ، وقد تتقدم عليه جوازاً نحو : جاء راكباً علي ، ومنه قول طرفة بن العبد :

فسقى ديارك غـير مفسدها صوب الربيع وديمـة تهمي

وقد تتقدم عليه وجوباً في موضعين :

١ ــ أن يكون صاحبها نكرة غـير مستوفية للشروط نحو : لعليٍّ مهذباً غلام وقول الشاعر :

لميـة موحشاً طلـل يلـوح كأنه خلـل

وقول الآخر :

وفي الجسـم مني بينـاً لو علمتـه
شحوب وإن تستشهـدي العين تشهـد

٢ ـ أن يكون محصوراً فيها نحو : ما جـاء ناجحاً إلا عليّ وإنما جـاء ناجحاً علي تقول ذلك إذا أردت أن تحصر المجيء بحالة النجاح في علي •

وتتأخر عنه وجوباً في ثلاثة مواضع :

١ ـ أن تكون هي المحصورة نحو ما جـاء خالـد إلا ناجحاً وإنما جاء خالد ناجحاً تقول ذلك إذا أردت أن تحصر مجيء خالد في حالة النجـاح ومنه قولـه تعـالى « وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين » •

٢ ـ أن يكون صاحبها مجروراً بالاضافة نحو يعجبني وقوف علي خطيباً ، وسرني عملك مخلصاً ، أما المجرور بحرف جر أصلي فقد منع الجمهور تقديم الحال عليه فلا يقـال مررت راكباً بعلي وأخذت عاثراً بيد خليـل . وأجاز الفارسي وابن كيسان وابن جني وغـيرهم التقديم ، قال ابن مالك والتقـديم هو الصحيح لوروده في الفصيح كقوله تعالى « وما أرسلناك إلا كافة للناس » فكافة حال من المجرور وهو الناس وقد تقدم على صاحبه المجرور ، ونحو قول الشاعر :

تسليت طراً عنكم بعد بينكم
بذكراكم حتى كأنكم عندي

وقال المانعون والحق أن هذا البيت ضرورة أو طراً حال من عنكم محذوفة مدلولاً عليها بعنكم المذكورة وان كافة في الآية حال من الكاف في أرسلناك وأن التاء للمبالغة لا للتأنيث قاله الزجاج وردّه ابن مالك بأن إلحاق التاء للمبالغة مقصور على السماع ولا يتأتى غالباً إلا في أبنية المبالغة كعلاقة ، وكافة خلاف ذلك .

هذا ولزيادة الفائدة نورد أقوالاً لبعض الأعلام في صدد إعراب كافة قال الزمخشري « ومن جعله حالاً من المجرور متقدماً عليه فقد أخطأ لأن تقدم حال المجرور عليه في الإحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم نرى من يرتكب مثل هذا الخطأ ثم لا يكتفي به حتى يضم اليه أن يجعل اللام بمعنى إلى فيرتكب الخطأين معاً » .

وقال أبو علي : « وقد جاء تقديم الحال على صاحبها المجرور وعلى ما يتعلق به وإذا جاز تقديمها على صاحبها وعلى العامل فيه فتقديمها على صاحبها وحده أجوز » .

وقال الفيروزبادي صاحب القاموس : « وجاء الناس كافة أي كلهم ولا يقال جاءت الكافة لأنه لا يدخلها أل ووهم الجوهري ، ولا تضاف » . واستدرك عليه شارحه فقال في تاج العروس ما ملخصه : « عبارة الجوهري : الكافة الجميع من الناس يقال لقيتهم كافة أي كلهم . وهذا كما ترى لا وهم فيه لأن النكرة ، إذا أريد لفظها جاز تعريفها وما ذكره المصنف هو الذي أطبق عليه الجمهور وأورده

النووي في التهذيب وعاب على الفقهاء استعماله بأل أو الاضافة قال شيخنا : ويدل على أن الجوهري لم يرد ما قصده المصنف أنه إنما مثل بما هو موافق للجمهور على أن قولهم ذلك رده الشهاب في شرح الدرة وصحح انه يقال وإن كان قليلاً » هذا وقد أطال الشهاب الخفاجي في تصحيح ادخال أل على كافة وإضافتها وقال شارح اللباب : انه استعمل مجروراً واستدل له بقول عمر بن الخطاب : « قد جعلت لآل بني كاهلة على كافة بيت المسلمين لكل عام مئتي مثقال ذهباً إبريزاً » •

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾

الاعراب :

(وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها) كلام مستأنف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم • وما أرسلنا فعل وفاعل وفي قرية

متعلقـــان بأرسلنا ومن حرف جر زائد ونذير مجرور لفظـاً منصوب محلاً على أنه مفعول به وإلا أداة حصر وجملة قال مترفوها حال من قرية وإن كانت نكرة لوقوعها في سياق النفي ومترفوها فاعل قال أي المتنعمون فيها . (إنما بما أرسلتم به كافرون) الجملة مقول قولهم ، وإن واسمها وبما متعلقان بكافرون وما موصولة وجملة أرسلتم صلة وأرسلتـــم بالبناء للمجهول والتاء نائب فاعـــل وبه متعلقان بأرسلتم وكافرون خبر إن والتقدير إننا كافرون بالذي أرسلتم به . (وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذّبين) الواو عاطفة وقالوا فعل وفاعل ونحن مبتـــدأ وأكثر خبر وأموالاً تمييز وأولاداً عطف عـــلى أموالاً وما حجازية ونحن اسمها والباء حرف جر زائد ومعذبين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما . (قـــل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقـــدر) إن واسمها وجملة يبسط الرزق خبرها ولمن متعلقان بيبسط وجملة يشاء صلة ويقدر عطف على يبسط ومعناه يضيقه ، (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الواو حاليـــة ولكن واسمها وجملة لا يعلمون خبرها ومفعول يعلمون محذوف أي وجه الحكمة في ذلك فهو يبسط الرزق للعاصي بطريق الاستدراج والإملاء ويقدره على المطيع بطريق الاختبار والابتلاء .

(وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى) الواو عاطفة أو استئنافية وما حجازية وأموالكم اسمها ولا أولادكـــم عطف عـــلى أموالكم والباء حرف جر زائد والتي مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس ووصف الأموال والأولاد بالتي لأن جمع التكسير العاقل وغير العاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة وجملة تقربكم صلة وعندنا ظرف متعلق بمحذوف حال وزلفى مصدر من معنى العامل فهو مفعول

مطلق على المعنى أي تقربكـم قربة • (إلا من آمن وعمل صالحاً) إلا بمعنى لكن فالاستثناء منقطـع لأن الخطـاب للكفار ومن آمن ليس منتظماً في سلكهم ومن مستثنى ويجوز أن يكون متصلاً مستثنى من المفعول في يقربكم ويجوز أن يعرب مبتدأ وما بعده الخبر وجملة آمن صلة وعمل عطف عـلى آمن وصالحاً مفعول به أو مفعول مطلق أي عملاً صالحاً • (فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) الفاء رابطـة لما في الموصول من معنى الشرط وأولئك اسم إشارة مبتدأ والاشارة إلى من والجمع باعتبار معناها كما أن افراد الفعلين باعتبار لفظها ، ولهم خبر مقدم وجزاء الضعف مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر أولئك ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهـم حسناتهم الواحـدة عشراً ، والإضافة إما من إضافة المصدر الى مفعوله أو من إضافة الموصوف الى صفته والمعنى عـلى الأول أن يجازيهم الله الضعف وعـلى الثاني لهم الجزاء المضاعف وبمـا متعلقان بجزاء وما موصولة أو مصـدرية • (وهم في الغرفات آمنون) الواو عاطفة وهم مبتدأ وفي الغرفات حال أو متعلقان بآمنون وآمنون خبر هم •

البلاغـة :

في قوله « وما أموالكم ولا أولادكم الآية » التفات من الغيبة الى الخطـاب والسرّ فيه المبالغة في تحقيق الخبر وأن ذلك الـذي تسرون به وتحبرون من كثرة الأولاد والأموال لن يجديكم فتيلاً ، ولن يقربكم منّا ما دمتم مصرّين على ما أنتم فيه مسترسلين في تلبية دواعي الغي والضلال ، وفي ذلك إشارة ضمنية إلى إنفاق الأموال في سبيل الله وأوجـه الخير وتهذيب الأولاد وتأهيلهـم لما يصلح دينهم ودنياهم • والزلفى القربى والزلفة القربة •

وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١) فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢)

الاعراب :

(والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون) الواو عاطفة على ما تقدم والذين مبتدأ وجملة يسعون صلة وفي آياتنا متعلقان بيسعون ، والسعي فيها بإبطال أحكامها ، ومعاجزين حال أي مقدرين عجزين وقد تقدمت في مكان آخر وجملة أولئك خبر الذين وأولئك مبتدأ وفي العذاب متعلقان بمحضرون ومحضرون خبر أولئك. (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) تقدم إعرابها وإنما أعادها لأنها سيقت هنا في شخص واحد بدليل قوله له وما سبق في شخصين فلا تكرار ، وهبه كان تكراراً فهو للتأكيد . (وما أنفقتم

من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) يجوز في ما أن تكون شرطية وهو أظهر في محل نصب مفعول مقدم لأنفقتم وأنفقتم فعل الشرط ومن شيء حال والفاء رابطة للجواب ، ويجوز أن تكون موصولة في موضع رفع بالابتداء ودخلت الفاء على الخبر لما في الموصول من رائحة الشرط وهو مبتدأ وجملة يخلفه خبر والجملة الاسمية إما في محل جزم على أنها جواب الشرط وإما في محل رفع على أنها خبر والواو عاطفة وهو مبتدأ وخير الرازقين خبر ٠ رفع على أنها خبر والواو عاطفة وهو مبتدأ وخير الرازقين خبر ٠ (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون) الواو استئنافية ويوم ظرف متعلق باذكر مضمراً وجملة يحشرهم في محل جر بإضافة الظرف إليها وجميعاً حال وثم حرف عطف ويقول فعل مضارع مرفوع عطفاً على يحشرهم وللملائكة متعلقان بيقول والهمزة للاستفهام التقريعي وهؤلاء مبتدأ وإياكم ضمير منفصل في محل نصب مفعول مقدم ليعبدون وجملة كانوا خبر المبتدأ والواو اسم كانوا وجملة يعبدون خبرها ٠

(قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم) قالوا فعل ماض وفاعل وسبحانك مفعول مطلق وأنت مبتدأ وولينا خبر ومن دونهم حال ٠ (بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) بل حرف اضراب وكانوا كان واسمها وجملة يعبدون خبرها والجن مفعول به وأراد بالجن الشياطين التي كانت في اعتقادهم تتقمص الأصنام التي يعبدونها وأكثرهم مبتدأ وبهم متعلقان بمؤمنون ومؤمنون خبر والجملة بدل من جملة يعبدون الجن ٠ (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً) الفاء استئنافية واليوم ظرف متعلق بيملك ولا نافية ويملك فعل مضارع مرفوع وبعضكم فاعل ولبعض متعلقان بنفعاً ونفعاً مفعول

به ولا ضراً عطف على نفعاً • (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) الواو عاطفة ونقول فعل مضارع معطوف على لا يملك وللذين متعلقان بنقول وجملة ظلموا صلة وذوقوا فعل أمر وفاعل والجملة مقول القول وعذاب النار مفعول به والتي صفة للنار وجملة كنتم صلة والتاء اسم كان وبها متعلقان بتكذبون وجملة تكذبون خبر كنتم •

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾

اللغـــة :

(معشار) : قـال في القاموس : « والعشير جـزء من عشرة كالمعشار والعشر» وتابعه من نقل عنه كالمنجد وغيره وقال في الكشاف : « والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع » وعبارة البحر : « المعشار مفعال من العشر ولم يبن على هذا الوزن من ألفاظ العدد غيره وغير

المرباع ومعناهما العشر والربع وقال،قوم المعشار عشر العشر » وقال الماوردي : « المعشار هنا هو عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزءاً من ألف » قال : وهو الأظهر لأن المراد به المبالغة في التقليل .

الاعراب :

(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة تتلى في محل جر بإضافة الظرف إليها وهو مبني للمجهول وعليهم متعلقان بتتلى وآياتنا نائب فاعل وبينات حال من آياتنا والتالي هو النبي صلى الله عليه وسلم وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وما نافية وهذا مبتدأ والاشارة الى التالي وهو النبي وإلا أداة حصر ورجل خبر هذا وجملة يريد صفة لرجل وأن وما في حيزها في محل نصب مفعول يريد وعما متعلقان بيصدكم وجملة كان صلة واسم كان مستتر تقديره هو وجملة يعبد خبرها وآباؤكم فاعل والمسألة من باب التنازع وأعمل الثاني لقربه ولو أعمل الأول لقال يعبدونه . (وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى) الواو عاطفة وقالوا فعل وفاعل وما نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وإفك خبر ومفترى صفة وسيأتي سر هذا التكرير في باب البلاغة .

(وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم : إن هذا إلا سحر مبين) الواو عاطفة وقال الذين فعل وفاعل وجملة كفروا صلة وللحق متعلقان

بقال ولما ظرفية حينية أو رابطة وجاءهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به وإن نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وسحر خبر هذا ومبين صفة • (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) الواو عاطفة ويجوز جعلها حالية كما سيأتي في حلّ المعنى وما نافية وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به ومن حرف جر زائد وكتب مجرور لفظاً في محل نصب مفعول ثان لآتيناهم وجملة يدرسونها صفة لكتب • (وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) عطف على ما تقدم وإعرابها مماثل للجملة قبلها والمعنى : انتفاء العذر عن هؤلاء المشركين لأنهم لم يؤتوا كتباً يدرسونها ولم ترسل إليهم رسل بالنذر بخلاف أهل الكتاب فإنهم قد يتشبثون بما آتاهم وبما هم عاكفون عليه فلا يريدون تركه وان كان تشبثهم باطلاً أما هؤلاء فليس لهم أدنى عذر وليس لها أي مبرر في جنوحهم الى التنطع ولجوئهم الى التكذيب • (وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم) الواو عاطفة وكذب الذين فعل وفاعل ومن قبلهم متعلقان بالصلة والواو حالية وما نافية وبلغوا فعل وفاعل ومعشار مفعول به وما اسم موصول مضاف اليه وجملة آتيناهم صلة •

(فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) الفاء عاطفة وكذبوا فعل وفاعل ورسلي مفعول به والفاء عاطفة وكيف اسم استفهام خبر مقدم لكان ونكيري اسمها واختار البيضاوي أن تكون جملة فكيف كان نكير معطوفة على محذوف قدره بقوله : « فحين كذبوا رسلي جاءهم إنكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم أي عليهم فليحذر هؤلاء من مثله » ولا مانع من ذلك •

البلاغــة :

في هذه الآيات تكرار يدل عــلى الغضب والإنكار ، فقد تكرر الفعل وهو قولهم وصرح باسمهــم وهو « الذين كفروا » وجاء باللام المؤذنة بالقوة وصرح بقوله « لما جاءهم » للعجب من مبادهتهم بالكفر وذلك للدلالة على مدى السخط عليهــم والزراية بأقدارهم والتعجب من ارتكاس عقولهم ونبوها عن الحق وطمسها لمعالمه ، ثم أضفى على ذلك ما هو أبلغ في الدلالة على رسوخهم في الكفر وتماديهم في الباطل وهو أن َمن قبلهم من أصحاب الكتاب لم يؤتوا مثلما أوتوا ، بل لم يبلغ ما أوتوه معشار ما أتاهم وهو جزء من عشرة بل من مائة على رأي بعضهم بل جزء من ألف على رأي آخرين • وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني وهو في المعاني دون الألفاظ أقــل ، ومما ورد فيــه التكرار على جهة اوعيد والتهديد قول الأعشى ليزيد بن مهر الشيباني :

أبــا ثابت لا تعلقنــك رمــاحنا
أبا ثابت أقصــر وعرضــك سالــم

وذرنا وقوماً إن هــم عمــدوا لنا
أبــا ثابت واقعــد فإنك طاعــم

وسيأتي المزيد من بحث التكرار •

* قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾

الاعراب :

(قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى) قل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وإنما كافة ومكفوفة وأعظم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وبواحدة متعلقان بأعظكم وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل جر عطف بيان لواحدة أو بدل منها أو رفع على تقدير هي أن تقوموا أو نصب على تقدير أعني ، ومثنى وفرادى نصب على الحال وسيأتي السر في تقديم مثنى على فرادى في باب البلاغة . (ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) ثم حرف عطف للترتيب والتراخي وسيأتي سر العطف بثم في باب البلاغة ، وتتفكروا معطوف على أن تقوموا وما نافية وبصاحبكم خبر مقدم ومن حرف جر زائد وجنة مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ والجملة مستأنفة ويجوز أن تتضمن تتفكروا معنى تعلموا فتكون من أفعال القلوب وما استفهامية

علقت تعلموا عن العمــل فهي مبتــدأ خبره بصاحبكم ومن جنة حال أي جنون ٠

(إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) إن نافية وهو مبتدأ وإلا أداة حصر ونذير خبر هو ولكم متعلقان بنذير وبين ظرف متعلق بمحذوف حال أو صفة لنذير ويدي مضاف اليه وشديد صفة ٠ (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم) ما شرطية في محــل نصب مفعول ثان مقدم لسألتكم وسألتكم فعل وفاعل ومفعول به أول وهو في محل جزم فعــل الشرط ومن أجر حال والفاء رابطــة لجواب الشرط وهو مبتدأ ولكم خبر والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط ، هذا ويحتمــل أن تكون ما موصولة مبتــدأ وجملة سألتكم صلة والفاء رابطــة لما في الموصول من معنى الشــرط وجملة هو لكــم خبر ٠ (إن أجري إلا عــلى الله وهو على كل شيء شهيــد) إن نافية وأجري مبتدأ وإلا أداة حصر وعلى الله خبر وهو مبتدأ وعلى كل شيء متعلقان بشهيد وشهيد خبر هو ٠ (قل إن ربي يقــذف بالحق علام الغيوب) إن واسمها وجملة يقذف خبرها وبالحق متعلقان بيقذف وعلام الغيوب خبر ثان لإن أو خبر لمبتــدأ محــذوف واختار الزمخشري أن يكون مرفوعاً على محل إن واسمها أو على المستكن في يقــذف على أنه بدل منه ، وقال ابن هشام : « فقدر علام نعتاً للضمير المستتر في يقذف » وتعقبه الدسوقي قائــلاً : « وحمله الجمهور عــلى البدل منــه » (قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد) جملة جــاء الحق مقول القول والواو عاطفــة وما نافية ويبدىء الباطــل فعل مضارع وفاعل وما يعيد عطف على ما يبدىء ٠

البلاغـة :

١ ــ الطباق :

في قوله « مثنى وفرادى » طباق بديع أتى به احترازاً من القيام جماعـة لأن في الاجتماع تشويشاً للخواطر ، وحئولاً دون التأمـل والاستغراق في التفكـير ، أما قيامهـم مثنى وفرادى فيتيح لهم أن يفكروا ويعملوا الروية فإن تبين الحق للاثنين جنح كل فرد الى إعمال رأيه ، وكثيراً ما يؤدي التعصب الى طمس الحقائق وضياع الفوائـد إذ يصبح الفرد كالببغاء ينقاد للآخرين على حد قول شوقي :

يا لـه من ببغـاء عقلـه في أذنيـه

٢ ــ الكناية :

في قولـه « وما يبـدىء الباطل وما يعيـد » كناية عن هلاكه والتطويح به لأنه إذا هلك لم يعد له إبداءاً أو إعادة ، ومنه قول عبيد :

أقفـر من أهله عبيـد فاليوم لا يبـدي ولا يعيـد

فقد كان المنذر بن ماء السماء يخرج في يوم من كل سنة فينعم على كل من يلقاه وفي آخر فيقتل أول من يلقاه فصادفه فيه عبيد فقيل له امدحه بشعر لعله يعفو عنك فقال : حال الجريض دون القريض . فضرب مثلاً وقال هذا البيت بعد ذلك تحسراً ، وروي أن المنذر قال له : أنشدني أقفر من أهله ملحوب ، فقال أقفر مـن أهله عبيـد الخ أي لا قدرة لي على إبداء شعر جديد ولا على إعادة شعر قديم وفي قوله يبدىء ويعيد أيضاً طباق .

الفوائـد :

قال النحاة : ويعطف على أسماء الأحرف المشبهة بالفعل بالنصب قبل مجيء الخبر وبعده كقول رؤبة :

إن الربيـع الجود والخريف يدا أبي العبـاس والصيوفـا

فعطف الخريف بالنصب على الربيع وقبل مجيء الخبر وهو يدا أبي العباس وعطف الصيوف جمـع صيف عـلى الربيع بالنصب بعد مجيء الخبر ، والجود بفتح الجيم وسكون الواو وبالدال المطر الغزير ويروى الجون بالنون بدل الدال والمراد به السحاب الأسود . والمراد بالربيـع والخريف والصيوف أمطارهن والمراد بأبي العباس السفاح أول الخلفـاء من بني العباس ، وهـذا من عكس التشبيه مبالغة لأن الغرض تشبيه يديه بالأمطار الواقعـة في الربيع والخريف والصيف ، ويعطف بالرفع على محل هذه أسماء هذه الأحرف بشرطين: استكمال الخبر وكون العامـل إن أو أن أو لكن مما لا يغير معنى الجملة نحو إن الله بريء من المشركين ورسوله فعطف رسوله عـلى محل الجلالة بعـد استكمال الخبر وهو بريء ، والمحققون على أن الرفع في ذلك ونحوه على أنه مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر الناسخ عليه .

قال اللقاني : « قال الرضي : والوصف وعطف البيان كالمنسوق عند الجرمي والزجاج والفراء في جواز الحمـل على المحـل ولم يذكر غيرهم في ذلك منعاً ولا إجازة والأصل الجواز إذ لا فارق ولم يذكروا البدل والقياس كونـه كسائر التوابـع في جواز الرفع » وفي شرح المفصل لابن الحاجب : « أجاز الزجاج جعل ارتفاع علام الغيوب في

قولـه تعالى : قـل إن ربي الآية على أنه صفة لربي بالتأويل الذي في العطف قال : ويمكن حمله على غير ما ذكره بأن يكون علام الغيوب فاعلاً بيقذف ولا ضمير فيه فاستغنى عن العائد بظاهر موافق للأول في المعنى » وارجع الى المطولات .

قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾

اللغــة :

(التناوش) : قال الزمخشري : « والتناوش والتناول اخوان إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب يقـال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب : ناش بعضهم بعضاً » وفي المصباح : « ناشه نوشاً من باب قـال تناوله والتناوش التناول يهمـز ولا يهمز وتناوشوا بالرماح تطاعنوا بها » وقال ابن السكيت : « يقال للرجل

إذا تناول رجلاً ليأخذ برأسه ولحيته ناشه ينوشه نوشاً ومنه المناوشة في القتال إذا تدانى الفريقان » .

الاعراب :

(قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي) إن شرطية وضللت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة وإنما كافة ومكفوفة وأضل فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنا وعلى نفسي متعلقان بأضل وهي في قوة بنفسي فيصح مقابلتها مع ما بعدها . (وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب) عطف على ما سبق وما من قوله فبما يوحي إلي ربي يجوز أن تكون مصدرية وأن تكون موصولة فعلى الأول يكون التقدير بسبب إيحاء ربي إليّ وعلى الثاني يكون التقدير : بسبب الذي يوحيه إلي ربي ، وجملة يوحي لا محل لها على كل حال وإلي متعلقان بيوحي وربي فاعل يوحي وان واسمها وسميع خبرها الأول وقريب خبرها الثاني . (ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأُخذوا من مكان قريب) كلام مستأنف مسوق لتقرير حال الكفار عند نزول الموت واضطرارهم الى الإخلاد للحق والرجوع إليه . ولو شرطية وترى فعل مضارع وفعل مستتر تقديره أنت والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بترى وجملة فزعوا بالبناء للمجهول في محل جر بإضافة الظرف اليها وجواب لو محذوف كما حذف مفعول ترى والتقدير : ولو ترى حالهم وقت فزعهم لرأيت أمراً عظيماً مذهلاً والفاء عاطفة أو استئنافية ولا نافية للجنس وفوت اسمها المبني على الفتح والخبر محذوف أي لهم والمعنى لا يفوتوننا ولا ينجيهم منا هرب أو ملجأ وقد كثر حذف

خبر لا النافية للجنس أو العاملة عمل ليس ، حتى قيل أنه لا يذكر ، وصيغ الماضي الواردة في إذ ، وأخذوا أريد بها الاستقبال وأخذوا الواو عاطفة وأخذوا فعل ماضي مبني للمجهول والواو نائب فاعل ومعناه الاستقبال أيضاً ومن مكان متعلقان بأخذوا وقريب صفة ومعنى من مكان قريب أي من ظهر الأرض الى بطنها إذا ماتوا •

(وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) وقالوا عطف على ما تقدم وجملة آمنا مقول قولهم وبه متعلقان بآمنا وأنى اسم استفهام معناه من أين أو كيف في محل نصب خبر مقدم والتناوش مبتدأ مؤخر ولهم متعلقان بمحذوف حال ومن مكان متعلقان بالتناوش وبعيد صفة أي عن محله وهو الدنيا • (وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) الواو حالية وقد حرف تحقيق وكفروا فعل وفاعل وبه متعلقان بكفروا ومن قبل متعلقان بمحذوف حال ويقذفون معطوف على قد كفروا على أنها حكاية حال ماضية أي وكانوا يتكلمون ويرجمون بالظن ومن مكان بعيد متعلقان به والبعد المكاني هنا معناه البعد المعنوي أي وهمهم الفاسد وظنهم الكاذب الذي هو بعيد عن الحقيقة والواقع كل البعد وسيأتي المزيد من هذا المعنى في باب البلاغة • (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل) الواو عاطفة وحيل فعل ماض مبني للمجهول ومعناه الاستقبال أيضاً لأن ما يفعله الله في المستقبل بمثابة ما قد حصل والظرف نائب فاعل ولم يرفع لأنه أضيف إلى غير متمكن وهو الضمير ، وفعل حال لازم لا يبنى للمجهول إلا مع الظرف أو الجار والمجرور وقيل نائب الفاعل هو ضمير المصدر المفهوم من الفعل كأنه قيل وحيل هو أي الحول والظرف متعلق بحيل ، وبين عطف على الظرف الأول

وما موصولة أو مصدرية والتقدير وبين الذي يشتهونه أو وبين مشتهاهم ، ويشتهون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة لا محل لها على كل حال والكاف نعت لمصدر محذوف أي فعل بهم فعلاً كما فعل بأشياعهم أي أتباعهم ، وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره أو أشباههم لأن من أشبه الثاني تبعه ، وبأشياعهم متعلقان بفعل ومن قبل حال . (إنهم كانوا في شك مريب) إن واسمها وجملة كانوا خبرها وكان واسمها وفي شك خبرها ومريب صفة .

البلاغة :

في قوله « وأنى لهم التناوش من مكان بعيد » استعارة تمثيلية وقد تقدم تعريف هذه الاستعارة ونقول في اجرائها هنا أنه شبه طلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين إيمانهم بالدنيا بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من مقياس ذراع تناولاً سهلاً لا تعب فيه فقد كانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب ، وهذا رجم بالظن ، وقذف بالباطل لأنهم لم يشاهدوا منه شعراً ولا سحراً ولا كذباً ، ولو أنهم رجعوا الى قرارة نفوسهم يسألونها عن حقيقة ما يرجفون ويرجمون لكذبتهم وأداتهم .

الفوائد :

تقدم في موضع آخر من هذا الكتاب أنه ينوب عن الفاعل واحد من أربعة : وهي المفعول به نحو وغيض الماء ، والثاني المجرور نحو

ولما سقط في أيديهم ، والثالث مصـــدر متصرف مختص بالصفة نحو فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وقد ينوب عن المصدر ضميره نحو قول طرفة بن العبد :

فيالك من ذي حاجـــة حيل دونهـــا

وما كـــل ما يهوى امرؤ هو نائله .

فيكون المعنى حيل هو أي الحول المعهود وليس النائب الظَرف لأنه غير متصرف عند جمهور البصريين ، وعن الأخفش أنه يجوز مع فتحه ، قـــال أبو علي وتلميذه ابن جني فتحـــة اعراب ، وقال غيرهما فتحة بناء ، وعلى ذلك توجه الآية التي نحن بصددها ، أما الرابع فهو ظرف مختص نحو صيم رمضان .

سورة فاطر
مكية وآياتها خمس وأربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

اللغــــة :

(فاطر السموات) خالقها عـلى غـير مثال وأصل الفطر الشقّ مطلقاً وقيل الشق طولاً وبابه نصـر كما في المختار وعن مجاهد عن ابن عباس : ما كنت أدري ما فاطـر السموات والأرض حتى اختصم

إليّ أعرابيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها وابتدعتها ، وقد جمع بعضهم معنى هذه المادة على اختلافه فقال :

الابتـدا والابتـداع فَطر والصّدع والغمز وأما الفِطْر
فترك صوم بعض كمء فُطر وما بـدا من عنب في الشجر

(تؤفكون) : تصرفون من الأفك بالفتح وهو الصرف يقال : ما أفكك عن كذا أي ما صرفك عنه وقيل هو من الإفك بالكسر وهو الكذب وفي المختار : « والأفك بالفتح مصدر أفكه أي قلبه وصرفه عن الشيء وبابه ضرب ومنه قوله تعالى : « قالوا أجئتنا لتأفكنا عما وجدنا عليه آباءنا » .

الاعراب :

(الحمد لله فاطر السموات والأرض) الحمد مبتدأ ولله خبره وفاطر السموات صفة له والأرض عطف على السموات وأل في الحمد جنسية استغراقية أي جنس الحمـد ، والاضافـة في فاطر السموات محضة لأنه للماضي . (جاعـل الملائكة رسـلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع) جاعـل الملائكة صفة ثانية والإضافة هنا محضة أيضاً واعتبرها بعضهم غير محضة لأنها حكاية حال ولهذا ساغ اعمال اسم الفاعل لأنه لا يعمل إذا كان بمعنى الماضي ، ولهذا جعل بعضهم رسلاً منصوبة بفعل مضمر ، وجوز الكسائي عمله على كل حال . ورسلاً مفعول ثان لجاعل وإذا كانت جاعـل بمعنى خالق كانت رسلاً حالاً مقدرة وأولي أجنحة نعت لرسلا ومثنى وثلاث ورباع صفات لأجنحة

وقد منعت من الصرف للوصف والعدل عن المكرر أي اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة وقد تقدم الكلام في هذه الصفات في سورة النساء وأعربها الكازروني في حاشيته بدلاً من أجنحة • (يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) كلام مستأنف مقرر لما قبله وفي الخلق متعلقان بيزيد وما مفعول به وجملة يشاء صلة وإن واسمها وعلى كل شيء متعلقان بقدير وقدير خبر إن والجملة تعليلية لا محل لها •

(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) ما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم ليفتح ويفتح فعل الشرط والله فاعل وللناس متعلقان بيفتح ومن رحمة حال والفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية للجنس وممسك اسمها ولها خبرها والجملة في محل جز جواب الشرط • (وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) الواو عاطفة وما سم شرط جازم في محل نصب أيضاً مفعول مقدم ليمسك ويمسك فعل الشرط والفاء رابطة ولا نافية للجنس ومرسل اسمها وله خبرها وفي قوله أولاً فلا ممسك لها حمل التأنيث على معنى ما لأن المراد الرحمة وفي الثاني حمل على اللفظ ، ومن بعده حال أي بعد إمساكه وهو مبتدأ والعزيز خبر أول والحكيم خبر ثان • (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) يا حرف نداء وأي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب والهاء للتنبيه والناس بدل واذكروا نعمة الله فعل أمر وفاعل ومفعول به ومضاف إليه وعليكم متعلقان بنعمة لأنها بمعنى الإنعام وإذا كانت بمعنى المنعم به تعلق الجار والمجرور بمحذوف على أنه حال •

(هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض) هل حرف استفهام ومن حرف جر زائد وخالق مبتدأ مجرور لفظاً مرفوع محلاً وغير الله صفة لخالق على المحل أو على اللفظ أو منصوب على الاستثناء وقرىء بها جميعاً وخبر خالق محذوف أي لكم ويجوز أن تكون جملة يرزقكم نصباً على الحال أو رفعاً صفة لخالق على المحل أو جراً صفة لخالق على اللفظ ويجوز أن تكون خبراً لخالق ، ومن السماء متعلقان بيرزقكم والأرض عطف وسيأتي المزيد من إعراب هذه الآية وما قيل فيها في باب الفوائد ومعنى الاستفهام التقرير والتوبيخ . (لا إله إلا هو فأنى تؤفكون) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير النفي المستفاد من الاستفهام وقد تقدم إعراب لا إله إلا الله مفصلاً ، فأنى الفاء استئنافية وأنى اسم استفهام في محل نصب حال وتؤفكون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل .

الفوائد :

١ ـ معنى « نزيد في الخلق ما نشاء » :

اشتملت هذه الآيات على فوائد كثيرة أولها معنى الزيادة في الخلق ، ونرى أن خير ما قيل فيها ما أورده الزمخشري في كشافه فبعد أن أورد ما قاله العلماء فيها قال : « والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الأعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجراءة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأنّ في مزاولة الأمور وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف » وهذا

الكلام على وجازته وبلاغته جامع مانع وفيه تعليل مرض لما تراه من تفاوت في مخلوقات الله .

واستعار الفتح للإطلاق والارسال كأنما هي أبواب موصدة لا يفتح مغالقها إلا الله من صنوف النعَم وضروب الآلاء كالرزق والمطر والصحة والأمن في الأوطان وغير ذلك مما لا يحصى عدده .

وفي تنكير الرحمة ما يدل على الاشاعة والابهام لتندرج في مطاويها ضروب النعم كما تقدم .

٢ ــ إعراب هل من خالق :

منع بعضهم أن تكون جملة يرزقكم خبراً لخالق لأن هل لا تدخل على مبتدأ مخبر عنه بفعل على الأصح .

٣ ــ مواضع زيادة « مِن » :

قلنا في مكان آخر أن « مــن » الجارة تزاد قبل النكرة إذا سبقت بنفي أو نهي أو استفهام ونضيف هنا أن ذلك يطرد في تسعة أوجــه :

١ ــ في الابتداء .

٢ ــ في الفاعل .

٣ ــ في اسم كان .

٤ ــ في مفعول ما يتعدى لواحد .

٥ ــ في أول مفعولي ظننت .

٦ ــ في أول مفاعيل علمت .

٧ ــ في أول مفعولي أعطيت .

٨ ــ في ثاني مفعولي أعطيت .

٩ ــ في مفعول ما لم يسم فاعله .

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (٥) إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (٦) ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)

الاعراب :

(وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) كلام مستأنف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم بأن له فيمن تقدمه من الأنبياء أسوة حسنة . وإن حرف شرط جازم ويكذبوك فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والكاف مفعول به والفاء رابطة لجواب الشرط وجملة قد كذبت في محل جزم جواب الشرط وهي من وضع السبب موضع المسبب وهو التأسي والتقدير فتأس بتكذيب الرسل من

قبلك ، ورسل نائب فاعل ومن قبلك صفة لرسل وبهذا التقدير يجاب عن الاعتراض بأن من حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له • (وإلى الله ترجع الأمور) الواو عاطفة والى الله متعلقان بترجع والأمور نائب فاعل • (يا أيها الناس إن وعد الله حق) يا أيها الناس : تقدم إعرابها كثيراً وان واسمها وخبرها • (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) الفاء الفصيحة ولا ناهية وتغرنكم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقلية وهو في محل جزم بلا الناهية والكاف مفعول به والحياة فاعل والدنيا صفة ولا يغرنكم بالله الغرور عطف على ما تقدم والغرور بفتح الغين صيغة مبالغة كالصبور والشكور والمراد بها الشيطان لأن ذلك ديدنه •

(إن الشيطان لكم عدواً فاتخذوه عدواً) إن واسمها ولكم متعلقان بعدو أو حال منه وعدو خبر إن والفاء الفصيحة واتخذوه فعل أمر وفاعل ومفعول به أول وعدواً مفعول به ثان •

(إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) إنما كافة ومكفوفة ويدعو فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو وحزبه مفعول به واللام للتعليل ويكونوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل ويجوز أن تكون اللام هي لام الصيرورة أو العاقبة ، والواو اسم يكونوا ومن أصحاب السعير خبرها • (الذين كفروا لهم عذاب شديد) الذين مبتدأ وجملة كفروا صلة ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر الذين وشديد صفة ويجوز أن يكون اسم الموصول بدلاً من الواو في ليكونوا أو صفة لحزبه فيكون موضعه النصب كما يجوز أن يكون محله الجر على أنه بدل

من أصحاب أو انه نعت الأصحاب • (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) الذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وعملوا الصالحات عطف على آمنوا ولهم خبر مقدم ومغفرة مبتدأ مؤخر والجملة خبر الذين وأجر عطف على مغفرة وكبير صفة •

أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

الاعراب :

(أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من التباين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حالهما المؤدي إلى تينك العاقبتين • والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف وقد تقدمت نظائرها ومن اسم موصول في محل رفع مبتدأ خبره محذوف دل عليه سياق الكلام والتقدير كمن هداه الله ، وأعربه بدر الدين بن مالك اسم شرط وجواب الشرط محذوف تقديره : ذهبت نفسك عليهم حسرة ، وجملة زين صلة من وله متعلقان بزين وسوء عمله نائب فاعل ، فرآه الفاء عاطفة ورآه عطف على زين والهاء مفعول رأى الأول وحسناً مفعول رأى الثاني لأنها قلبية والفاء رابطة لما في الموصول من معنى الشرط وان واسمها وجملة يضل خبرها ومن يشاء مفعول يضل وجملة ويهدي من يشاء عطف على جملة يضل من يشاء • (فلا تذهب نفسك

عليهم حسرات إن الله عليـم بما يصنعون) الفاء الفصيحـة ولا ناهية وتذهب فعل مضارع مجزوم بلا ونفسك فاعل وعليهم متعلقان بتذهب كمـا تقول هلك عليه حباً ومات عليـه حزناً ، ولا يجـوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا تتقـدم عليه صلته ، وحسرات مفعول لأجله والمعنى فـلا تهلك نفسك للحسرات وقـال المبرد انهـا تمييز وقال الزمخشري : « يجوز أن يكون حالاً كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير :

مشق الهواجـر لحمهن مـع السرى

حتى ذهبن كـلا كـلاً وصـدورا

يصف نوقاً بالهزال يقال فرس ممشوق أي طويل مهزول وجارية ممشوقـة القوام والهاجرة شـدة الحر والسرى بالضم سير الليـل والكلكل والكلكال الصدر أي صرن من شدة الحر كأنهن عظام فقط لا لحم عليهن وعطف الصدور على الكلاكل للتفسير وسيأتي المزيد من هذا البحث في باب البلاغة .

وان واسمها وخبرها وبما يصنعون متعلقان بعليم .

البلاغـة :

في قوله : « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات » فن الإيغال وهو الاتيان بكلام يعتبر بمثابة التتمة لكلام سبقه احتياطاً ، فقد أقسم الله تعالى بحياة الرسول أكثر من مرة ان الذين أعرضوا عنه وخالفوه قد تجاوزوا كـل حدّ بإعراضهم ودللوا عـلى أنهم مفرطون في الغباوة

موغلون في الضلال كما قال تعالى في أكثر من موضع « لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون » وقوله أيضاً « ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر » وقوله « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً » وذهاب النفس حسرة وأسفاً تعبير مرموق رمقه الشعراء كثيراً فقال شاعر قديم :

فعلى إثرهم تساقط نفسي حسرات وذكرهم لي سقام

لما أصابه الحزن بعد ذهاب الأحباب وتمكن من نفسه وسيطر بدمه ، تخيل أنها تتناثر وتنزل من جسمه حال كونها حسرات متتابعة ، وجعل النفس حسرات لامتزاجها بها فكأنها هي ، أو تتساقط بعدهم لأجل الحسرات والأحزان ، وذكرهم أي تذكرهم سقام لي وهو بالفتح مصدر كالسقم . وقال ابن الرومي مقتبساً هذه اللفظة البديعة في رثاء ابنه محمد وهو أوسط أولاده :

وظل على الأيدي تساقط نفسه

ويذوي كما يذوي القضيب من الزند

وإنما يحمل المريض على الأيدي إذا كان صغيراً وقد مات ابنه محمد منزوفاً وهو فيما بين الرابعة والخامسة .

أقول روى التاريخ أن هذه الآية نزلت في أبي جهل بن هشام لما زين له سوء عمله فرآه صواباً أو جميلاً فهام في الضلال ، وأطلق آمر النهي واعتنق طاعة الهوى حتى رأى الحسن قبيحاً والقبيح حسناً كأنما ران عليه وسلبه عقله ولبه وتمييزه وقد رمق أبو نواس سماء هذا المعنى فقال :

اسقـني حتى تراني حسناً عنـدي القبيح

يقول لساقي الخمر : اسقني حتى أسكر فيحسن عندي القبيح ، وحسناً هو المفعول الثاني لتراني والقبيح فاعل حسناً لأنه صفة مشبهة.

وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾

اللغـــة :

(بلد) : في المصباح : « البلد يذكر ويؤنث » والبلدة البلــد وتطلق البلد والبلدة على كل موضع من الأرض عامراً كان أو خلاء ، وفي التنزيل : « الى بلد ميت » أي الى أرض ليس بها نبات ولا مرعى فيخرج ذلك بالمطر فترعاه أنعامهم فأطلق الموت على عدم النبات والمرعى وأطلق الحياة على وجودهما » .

(الكلم) : اسم جنس لأنه يدل عــلى الماهية من حيث هي هي وليس بجمع خلافاً لصاحب القاموس ولغـيره من النحــاة لأنه يجوز تذكير ضميره والجمع يغلب عليه التأنيث ولا اسم جمع لأن له واحداً من لفظه والغالب على اسم الجمع خلاف ذلك وواحدة كلمة والكلمة

فيها ثلاث لغات : كَلِمة بفتح الكاف وكسر اللام وكِلْمة بكسر الكاف وسكون اللام وكَلْمة بفتح الكاف وسكون اللام .

(يبور) : يهلك ويفسد يقال : بار يبور بُوْراً وبواراً : هلك وبارت السوق أو السلعة كسدت وبار العمل : بطل وبارت الأرض : لم تزرع وبوّر الأرض تركها أو صيرها بائرة وأباره : أهلكه وتبوّر نفسه رثاها وناح من البوار ، والبائر : ما بار من الأرض والجمع بُور يقال : حائر بائر أي لا يطيع مرشداً ولا يتجه لشيء والبُور أيضاً : الفاسد الهالك الذي لا خير فيه يقال امرأة بور وقوم بور ، والبور من الأرض : ما لم يزرع والبوار الهلاك والفساد ودار البوار : جهنم .

الاعراب :

(والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً) الله مبتدأ والذي خبره وجملة أرسل الرياح صلة الموصول والرياح مفعول به والفاء عاطفة وتثير فعل مضارع وسيأتي سر عطف المضارع على الماضي وكيف جاء مخالفاً لما قبله وما بعده في باب البلاغة وسحاباً مفعول به . (فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) فسقناه عطف أيضاً على طريق الالتفات وسقناه فعل وفاعل ومفعول به والى بلد متعلقان بسقناه وميت صفة ، فأحيينا به الأرض عطف أيضاً والظرف متعلق بمحذوف حال وكذلك خبر مقدم والنشور مبتدأ مؤخر وسيأتي سر هذا التشبيه في باب البلاغة . (من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً) من اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر يعود على ما وجملة يريد خبرها والعزة مفعول به والفاء

رابطة لجواب الشرط ولله خبر مقدم والعزة مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وساغ قيـام هذه الجملة مقـام الجواب لدلالتها عليه لأن الشيء لا يطلب إلا عنـد صاحبه ومالكه ونظـيره قولك من أراد النصيحة فهي عنـد الأبرار ، تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه ، ومعنى فلله العزة جميعاً أن العزة كلها مختصة لله ، وقـال آخرون : « ومن شرطية مبتـدأ وجواب الشرط محذوف تقديره فليعطه وقوله فلله العزة تعليل للجواب المحذوف » وقدر البيضاوي جواب الشرط المحذوف بقوله « فليطعه » ولله خبر مقدم والعزة مبتدأ مؤخر وجميعاً حال وجملة الشرط وجوابه خبر من .

(إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) الجملة نصب على الحال وإليه متعلقان بيصعـد ويصعد الكلم فعـل مضارع وفاعل والطيب صفة للكلم والعمل مبتدأ ، ويجوز رفعه على العطف والصالح صفة وجملة يرفعه خبر العمـل وفاعل يرفعه ضمير مستتر يعود عـلى العمل أي العمل الصالح يرفع الكلم وقيل الفاعل ضمير الله فتعود الهاء على العمل ، وعن ابن المقفع « قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر »

(والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) كلام مستأنف مسوق لبيان حال الكلم الخبيث والعمل السيىء بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وأهلهما . والذين مبتدأ وجملة يمكرون صلة الـذين والسيئات صفة مفعول مطلق وتقديره المكرات السيئات ولا يجوز نصبه عـلى أنه مفعول به لأن مكر فعـل غير متعد والمكرات بفتحات جمع مكرة بسكون الكاف وهي المرة من المكر الذي هو الحيلة والخديعة وقال بعضهم يجوز تضمين يمكرون

السيئات معنى يكسبون السيئات فيجوز نصبها على أنها مفعول به ، ومكر مبتدأ وأولئك مضاف إليه ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للإيذان بتميزهم بالشر والفساد عن سائر المفسدين أي هم لا غيرهم ، وهو ضمير فصل لا محل له وجملة يبور خبر مكر ويجوز أن يكون هو مبتدأ وجملة يبور الخبر والجملة الاسمية خبر مكر وقد اختلف في وقوع ضمير الفصل قبل الخبر فمنعه قوم وأجازه آخرون ونحن أميل الى الجواز .

البلاغـة :

١ ـ الالتفات :

في قوله « والله الذي أرسل الرياح فتثـير سحاباً فسقناه الخ » التفاتان : الأول في الإخبار بالفعـل المستقبل عن الماضي فقـد قال « فتثير » مستقبلاً وما قبله وما بعـده ماض لحكاية الحـال الماضية واستحضار لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية كحال تستغرب أو تهم المخاطب وغير ذلك كما قال تأبط شراً :

فمن ينكر وجود الغول إني ... أخبر عن يقـين بل عيـان

بأني قد لقيـت الغول تهوي ... بسهب كالصحيفة صحصحان

فأضربهـا بلا دهش فخـرت ... صريعاً لليـدين وللجران

والغول أنثى الشياطين والعيان المشاهدة بالعين والهوي الهبوط والمراد سرعة العدو والسهب بالفتح الفضاء المستوي البعيد الأطراف

والصحيفة الكتاب والصحصحان بالفتح المستوي من الأرض والجران كـكتاب مقدم عظم العنق من الحلق الى اللبة وجمعه جرنه كـكتبه وأجرنه كأفئدة يقول : من ينكر وجود الغول فقد كذب فإني أخبر عن يقين أو المعنى فيا من تنكر وجود الغول إني أخبر إخباراً ناشئاً عن يقين وهو ما كان بدليل قاطع بله عيان ومشاهدة بالعين •

وعلى هذا الاسلوب ما ورد من حديث الزبير بن العوام في غزوة بدر فإنه قال : لقيت عبيدة بن سعيد بن العاص وهو على فرس وعليه لأمة كاملة لا يُرى منه إلا عيناه وهو يقول : أنا أبو ذات الكئوس ، وفي يدي عنزة فأطعن بها في عينه فوقع وأطأ برجلي على خده حتى خرجت العنزة متعقفة • فقوله فأطعن بها في عينه وأطأ برجلي معدول به عن لفظ الماضي الى المستقبل ليمثل للسامع الصورة التي فعل فيها ما فعل من الإقدام والجراءة على قتل ذلك الفارس المستلئم ، ألا ترى أنه قال أولاً لقيت عبيدة بلفظ الماضي ثم قال بعد ذلك فأطعن بها في عينه ولو عطف كلامه على أوله لقال فطعنت بها في عينه •

والالتفات الثاني في قوله : « فسقناه الى بلد ميت فأحيينا الخ » ولو جرى على نمط الكلام لقال فسقى وأحيا ولكنه عدل بهما عن لفظ الغيبة الى لفظ التكلم وهو أدخل في الاختصاص وأدلّ عليه وانما عبر بالماضيين بعد المضارع للدلالة على التحقق •

٢ ـ التشبيه :

وفي قوله « كـذلك النشور » تشبيه مرسل لوجود الأداة أي كمثل إحياء الموات نشور الأموات في صحة المقدورية أو في كيفية الاحياء •

٣ ــ المجاز الاسنادي :

وفي قوله « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » مجاز في المسند ومجاز في الاسناد فالصعود مجاز عن العلم لأن الصعود صفة من صفات الاجرام والكلم معلوم فأسند الفعل للمفعول به .

وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

اللغـــة :

(فرات) : شديد العــذوبة وفي القاموس « وفرت الماء ككرم فروتة عذب » .

(أجاج) : شديد الملوحــة وفي القاموس « وأجّ الماء أجوجاً بالضم يأجج كيسمع ويضرب وينصر إذا اشتدت ملوحته »وتقول هجير" أجــاج للشمس فيه مُجاج وهو لعاب الشمس وماء أجــاج يحرق بملوحته .

(قطمــير) : القطمــير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها وقيل هي النكتة في ظهرها ، ومعلوم أن في النواة أربعة أشياء يضرب بها المثل في القلة : الفتيل وهو ما في شق النواة والقطمير وهو اللفافة والنقــير وهو ما في ظهرها والثفروق وهو بين القمع والنواة وقال الجوهري : « ويقال هو النكتة البيضاء التي في ظهر النواة تنبت منها النخلة » .

الاعراب :

(والله خلقكم من تراب ثم من نطفــة ثم جعلكم أزواجاً) كلام مستأنف مسوق لإيراد تقرير آخر أو دليــل آخر عــلى صحة البعث والنشور . والله مبتدأ وجملة خلقكم خبر ومن تراب متعلقان بخلقكم ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ومن نطفة عطف على من تراب ، ثم جعلكم أزواجاً عطف عــلى خلقكم من تراب وأزواجاً مفعول ثان لجعل أي أصنافاً ذكوراً وإناثاً . (وما تحمــل من أنثى ولا تضع إلا

بعلمه) الواو عاطفة وما نافية وتحمل فعل مضارع مرفوع ومن حرف جر زائد وأنثى مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل ولا تضع عطف على وما تحمل وإلا أداة حصر وبعلمه في موضع نصب على الحال أي معلومة له . (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) الواو عاطفة وما نافية ويعمر فعل مضارع مبني للمجهول ومن حرف جر زائد ومعمر نائب فاعل ولا ينقص عطف على وما يعمر ومن عمره متعلقان بينقص وإلا أداة حصر وفي كتاب في محل نصب على الحال وسيأتي معنى هذا الكلام المتسامح في باب البلاغة . (إن ذلك على الله يسير) إن واسمها وعلى الله متعلقان بيسير ويسير خبر إن وفي المصباح : « ويسر الشيء مثل قرب قلّ فهو يسير ويسر الأمر ييسر يسراً من باب تعب ويسر يسراً من باب قرب فهو يسير أي سهل ويسره الله فتيسر واستيسر بمعنى » .

(وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) كلام مستأنف مسوق لضرب المثل للمؤمن والكافر وما نافية ويستوي فعل مضارع مرفوع والبحران فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى وهذا مبتدأ وعذب خبر وفرات خبر ثان أو صفة وسائغ شرابه يجوز أن يكون سائغ صفة ثالثة وشرابه فاعل لسائغ لأنه صفة مشبهة أي سهل انحداره ويجوز أن يكون سائغ خبر مقدم وشرابه مبتدأ مؤخر والجملة صفة ثانية وجملة هذا عذب الخ في محل نصب حال من البحران وهذا ملح أجاج عطف على هذا عذب فرات وسيأتي مزيد بسط عن هذا المثل في باب البلاغة .

(ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها) الواو إما عاطفة والجملة بمثابة التتمة والتكميل للتمثيل وإما استئنافية

فتكون الجملة مستأنفة استطرادية وسيأتي تفصيل كل من المعنيين في باب البلاغة ، ومن كل متعلقان بتأكلون ومنهما صفة للمحذوف بعد كل أي كل واحد منهما وتأكلون فعل مضارع وفاعل ولحماً مفعول به وطرياً صفة وتستخرجون عطف على تأكلون وحلية مفعول به وجملة تلبسونها نعت لحلية وتلبسونها فعل مضارع وفاعل ومفعول به . (وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) الواو عاطفة وترى الفلك فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنت والفلك مفعول به وفيه متعلقان بمواخر أو بترى ومواخر حال لأن الرؤية بصرية ولتبتغوا اللام للتعليل وتبتغوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بمواخر ومن فضله متعلقان بتبتغوا ولعل واسمها وجملة تشكرون خبرها .

(يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) لك أن تجعلها كلاماً مستأنفاً ولك أن تجعلها في محل نصب على الحال من فاعل خلقكم أي الله تعالى والليل مفعول به ليولج وفي النهار متعلقان بيولج ويولج النهار في الليل عطف على الجملة التي سبقته . (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) الواو عاطفة وسيأتي سر تغاير المتعاطفين في باب البلاغة ، وسخر الشمس فعل وفاعل مستتر يعود على الله ومفعول به والقمر عطف على الشمس وكل مبتدأ أي كل واحد منهما وجملة يجري خبر ولأجل متعلق بيجري ومسمى نعت لأجل . (ذلكم الله ربكم له الملك) ذلكم مبتدأ وأخبر عنه بأخبار ثلاثة وهي الله وربكم وجملة له الملك ، وله خبر مقدم والملك مبتدأ مؤخر . (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) الواو حالية أو استئنافية والذين مبتدأ وجملة تدعون صلة ومن دونه حال وما نافية

ويملكون فعل مضارع وفاعل وجملة ما يملكون خبر الذين ومن حرف جر زائد وقطمير مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به •

(إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم) كلام مستأنف مسوق لتقرير المضمون المتقدم وإن حرف شرط جازم وتدعوهم فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون وهو فعل مضارع وفاعل ومفعول به ولا نافية ويسمعوا جواب الشرط ودعاءكم مفعول به والواو حالية أو عاطفة ولو حرف شرط وسمعوا فعل ماض والواو فاعل وما نافية واستجابوا فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم • (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) الظرف متعلق بيكفرون وبشرككم متعلقان بيكفرون والكاف مضافة الى المصدر من إضافة المصدر الى فاعله أي يتبرءون منكم ومن عبادتكم إياهم • (ولا ينبئك مثل خبير) الأحسن أن يكون الخطاب عاماً أي أيها السامع كائناً من كنت ، ولا نافية وينبئك فعل مضارع والكاف مفعوله ومثل خبير فاعله أي عالم ببواطن الأمور •

البلاغة :

١ ـ الكلام المتسامح :

في قوله « وما يعمر من معمّر الخ » فن الكلام المتسامح الذي يثق فيه المتكلم بأفهام السامعين وأذواقهم ، لأنه لا يلتبس عليهم ، ولا يعزب عنهم إدراك منطوياته واكتناه مراميه ، فظاهر الكلام يوهم أن المتعاطفين مما يتعاوران كل إنسان وإن التعمير وخلافه يتعاقبان عليه وذلك محال في حد ذاته ، بيد أنه من البدائه التي تدرك لأول

وهلة ، وعليه كلام الناس المستفيض يقولون : لا يثيب عبداً ولا يعاقبه إلا بحق وما تنعمت بلداً ولا اجتويته إلا قل فيه ثوائي ، وفيه ـ كما يقول الزمخشري ـ تأويل آخر وهو أنه لا يطول عمر إنسان ولا يقصر إلا في كتـاب ، وصورته أن يكتب في اللوح : إن حـج فلان فعمره أربعون سنة وإن حج وغزا فعمره ستون سنة فإذا جمـع بينهما فبلغ الستين فقد عمر وإذا أفرد أحدهما فلم يتجاوز به الأربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهي الستون .

٢ ـ التمثيل :

وفي قوله « وما يستوي البحران الخ» ويسميه بعضهم الاستعارة التمثيلية وهو تركيب استعمل في غـير موضعه لعلاقة المشابهة وليس فيه ذكر للمشبه ولا لأداة التشبيه وهـذا مثال يوضحه وهو قولهم : « أنت تضرب في حديد بارد » فقد شبهت حال من يلح في الحصول على شيء يتعذر تحقيقه بحال من يضرب حديداً بارداً بجامـع أن كلاً منهما يكون عملاً لا يرجى من ورائه أثر ، وليس في هـذا التركيب ذكر للمشبه ولا لأداة التشبيه فهـو إذن استعارة تمثيلية لأنه تركيب استعمل في غير ما وضـع له ، والمشابهـة ظاهرة بين المعنيين المجازي والحقيقي وهـذا النوع يكثر في الأمثـال السائرة النثرية والشعرية كقولهم « إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً » يضرب لمن يتطاول عليك أو للقوي يقع فيمن هو أقوى منه وأعنف والمخاطب لم يكن ريحاً ولم يلاق إعصاراً .

ولعبد القاهر الجرجاني فصل ممتع في التمثيل نلخصه فيما يلي قال : « وهل يشك في أنه يعمل عمل السحر حتى يختصر بعد ما بين

المشرق والمغرب » وقال : « وهو يريك للمعاني الممثّلة في الأوهام شبهاً في الأشخاص الماثلة وينطق لك الأخرس ويعطيك البيان من الأعجم ، ويريك الحياة في الجماد ويريك التئام عين الأضداد ، ويجعل الشيء البعيد قريباً » .

وأورد عبد القاهر في كتاب أسرار البلاغة مثالاً شعرياً رائعاً قال : « وتأمل كذلك بيت أبي تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

مقطوعاً عن البيت الذي يليه برغم أن البيت واضح المعنى ثم أتبعه بالبيت التالي وهو :

لولا اشتعال النار فيما جاورت

ما كان يعرف طيب عرف العود

وانظر هل نشر المعنى تمام حلته وأظهر المكنون من حسنه وزينته واستحق التقديم كلّه إلا بالبيت الأخير ، وما فيه من التمثيل والتصوير » .

هذا وليس كل تشبيه يحول الى استعارة كما يوهم الكلام المتقدم وإنما يجوز ذلك إذا كان الشبه بين الشيئين مما يقرب مأخذه ويسهل متناوله ويكون في الحال دليل عليه حتى يمكن المخاطب إذا أطلقت له الاسم أن يعرف ما أردت فإذا لم يكن سبيل الى معرفة المقصود من الشبه فيه إلا بعد ذكر الجمل التي يعقد بها التمثيل فإن الاستعارة لا تدخله لأن وجه الشبه إذا كان غامضاً لم يجز أن تقتسر

الاسم وتنقله إلى غير ما هو أهله من غير أن يكون معك شاهد ينبىء عن الشبه ومثّل عبد القاهر لذلك ببيت للنابغة الذبياني قال : « فلو حاولت أن تحول قول الشاعر :

فإنك كالليـــل الـــذي هو مدركي
وإن خلـت أن المنتـأى عنك واسـع

الى استعارة وان تعامل الليل معاملة الأسد في قولك : « رأيت أسداً » لم تجد له مذهباً في الكلام ، لأنك لا تخلو من أحد أمرين : إما أن تحذف الصفة وتقتصر على ذكر الليل مجرداً فتقول : إن فررت أظلني الليـل ، وهذا محال لأنه ليس في الليـل دليل على النكتة التي قصدها الشاعر من أنه لا يفوته وإن أبعد في الهرب لسعة ملكه وطول يده ، وإن لم تحـذف الصفة وجـدت طريق الاستعارة فيه يؤدي الى تعسّف إذ لو قلت : إن فررت منك وجدت ليلاً يدركني وإن ظننت أن المنتأى واسع والمهرب بعيد ، قلت مالا تقبله الطباع لأن العرف لم يجر بأن تجعل الممدوح هكذا » .

ونعود الى ذكر الآية التي نحن بصدد الكلام عليها فقد مثل الله للمؤمن والكافر بالبحرين ثم فضل البحر الأجاج عـلى الكافر بأنه قد شارك البحر العـذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك بما ينفع الناس والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة » ثم قال : « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله » ويقال أيضاً إن المؤمن والكافر وإن

اشتركا في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لا يتساويان في الخاصية العظمى لبقاء أحدهما على فطرته الأصلية .

٣ ــ الاستطراد :

وعلى ذكر الاستطراد نقول لقد تقدمت الاشارة إليه في هذا الكتاب ونزيده هنا بسطاً فنقول انه أن يبني الشاعر أو الكاتب كلاماً كثيراً على كلام من غير ذلك النوع يقطع عليه الكلام وهو مراده دون جميع ما تقدم ويعود الى كلامه الاول ، وجلّ ما يأتي تشبيهاً فقد استطرد في الآية الى ذكر البحرين المالح والعذب وما علق بهما من نعمته وعطائه فمن كل منهما تأكلون لحماً طرياً وهو السمك وتستخرجون حلية تلبسونها فالخاتم يجعل في الإصبع والسوار في المعصم والقلادة في العنق والخلخال في الرجل وترى الفلك في كل منهما مواخر أي شواق للماء بجريها بها ، يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب بنات مخر لأنها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لأنها تسفن الماء كأنها تقشره كما تمخره .

* يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

اللغـــة :

(حملها) : الحمل بالكسر ما يحمـل والجمع أحمال وحُمولة والحمل أيضاً : واحـد الحُمول وهي الهوادج أو الإبل التي عليهـا الهوادج وفي المصباح : « الحمل بالكسر ما يحمل عـلى الظهر ونحوه والجمع أحمال وحمول وحملت المتاع حملاً من باب ضرب فأنا حامل والأنثى حاملة بالتاء لأنهـا صفة مشتركة » وفي المختار : « قـال ابن السكيت : الحمل بالفتح ما كان في البطن أو على رأس شجرة ، والحمل بالكسر ما كان على ظهر أو رأس ، قال الأزهري : وهذا هو الصواب وهو قول الأصمعي وقال : امرأة حامل أو حاملة إذا كانت حبلى فمن قال حامل قال : هذا نعت لا يكون إلا للإناث ومن قال حاملة بناه على ما حملت فهي حاملة وذكر ابن دريد أن حمل الشجرة فيه لغتان الفتح والكسر » وقد نظم بعضهم ضابطاً لهذه المادة العجيبة فقال :

ما كان في بطن فذاك حَمْلُ	وإن على ظهر ورأس حِمْلُ
والكفلاء والديات حُمْـلُ	جمع حِمـال وحميـل فادر
كثـير حَمْل اسمه الحَمّال	وحامـل الدّيات والحِمّال
مصـدر حمّلتك والحُمّال	جمـع لحامـل لأي وِقـر

الاعراب :

(يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) يا أيها الناس تقدم إعرابها كثيراً وأنتم مبتدأ والفقراء خبر والى الله متعلقان بالفقراء لأنه جمـع فقير وفقير صفة مشبهة • (والله هو الغني الحميـد) الله مبتدأ وهو

مبتدأ ثان أو ضمير فصل والغني الحميد خبران للمبتدأ أو لهو والجملة الاسمية خبر الله • (إن يشأ يذهبكم ويأتي بخلق جديد) إن شرطية ويشأ فعل الشرط ويذهبكم جواب الشرط وجزاؤه ويأت عطف على يذهبكم وبخلق متعلقان بيأت وجديد نعت • (وما ذلك على الله بعزيز) الواو عاطفة وما نافية حجازية وذلك اسم ما وعلى الله متعلقان بعزيز والباء حرف جر زائد وعزيز مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ما • (ولا تزر وازرة وزر أخرى) لا نافية وتزر فعل مضارع ووازرة فاعل أو هو وصف لفاعل محذوف والتقدير نفس وزارة ووزر مفعول به وأخرى مضاف إليه وسيأتي معنى هذا الكلام في باب البلاغة • (وإن تدع مثقلة الى حملها لا يُحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) إن شرطية وتدع فعل الشرط ومثقلة وصف لفاعل محذوف أي نفس مثقلة بالذنوب والى حملها متعلقان بتدع والمفعول به محذوف للعلم به ولا نافية ويحمل بالبناء للمجهول جواب الشرط ومنه متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لشيء والواو حالية ولو شرطية وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر تقديره المدعو وذا قربى خبر أي ذا قرابة •

(إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة) إنما كافة ومكفوفة وتنذر فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنت والذين مفعول به وجملة يخشون صلة وربهم مفعول به وبالغيب حال من الفاعل أو من المفعول أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غِائباً عنهم وأقاموا الصلاة فعل ماض وفاعل ومفعول • (ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير) الواو اعتراضية

ويجوز أن تكون استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ وتزكى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة للجواب وإنما كافة ومكفوفة ويتزكى فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو ولنفسه متعلقان بيتزكى على أنه تعليل له والى الله خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر ٠

البلاغة :

١ ــ في قوله « أنتم الفقراء الى الله » تعريف الفقراء ، والسر فيه المبالغة في فقرهم كأنهم لشدة افتقارهم هم الموسومون بالفقراء وان افتقار غيرهم بالنسبة لفقرهم لا يعتبر افتقاراً أو كأنهم قد أصبحوا وقد بلغوا من الفاقة غايتها ، ومن العوز نهايته جنس الفقراء وهذا من روائع علم البيان ٠

٢ ــ وفي قوله « ولا تزر وازرة وزر أخرى » جناس الاشتقاق بين تزر ووازرة ووزر ، والوزر كما في المصباح الاثم والوزر الثقل أيضاً ومنه يقال وزر يزر من باب وعد إذا حمل الاثم ٠ وهنا يرد سؤال كيف يتفق هذا القول مع قوله تعالى : « وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم » فإن هذه الآية في الضالين المضلين فهم يحملون أثقال ضلالهم وأثقال إضلالهم لغيرهم أما الآية التي نحن بصددها فهي مقتصرة على الذين يحملون أوزار وأثقال أنفسهم ، وعن ابن عباس : يلقى الأب والأم الابن فيقولان له يا بني احمل عنا بعض ذنوبنا فيقول لا أستطيع حسبي ما علي ٠

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤)

اللغـــة :

(الحرور) : عبـارة الزمخشـري : « الحرور السموم إلا أن السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالنهار خاصة » وفي المصباح « الحرّ بالفتح خلاف البرد يقال حر اليوم والطعام يحر من باب تعب وحرّ حروراً من بابي ضرب وقعد لغة والاسم الحرارة فهو حـار وحرت النار تحر من باب تعب توقـدت وأسعرت والحرّ بالفتح : أرض ذات حجارة سود والجمـع حِرار مثـل كلبة وكلاب والحرور وزان رسول الريح الحارة ، قال الفراء : تكون ليلاً ونهاراً وقال أبو عبيدة أخبرنا رؤبة أن الحرور بالنهار والسموم بالليل وقال أبو عمرو بن العلاء : الحرور والسموم بالليل والنهار والحرور مؤنثة » وعبـارة القاموس : « والحرور : الريح الحارة بالليـل وقد تكون بالنهار وحر الشمس والحرّ الدائم والنار » .

الاعراب :

(وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور) كلام مستأنف مسوق لضرب المثل للمؤمن والكافر والتنافي بينهما في الذات والوصف والمستقر في الآخر . وما نافية ويستوي فعل مضارع لا يكتفي بفاعل واحد ولذلك يجب أن يعطف عليه أو يتعدد والأعمى فاعل والبصير عطف عليه وما بعده عطف أيضاً ولا زائدة للتأكيد . (وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء) الواو عاطفة وما نافية ويستوي الأحياء فعل مضارع وفاعل ولا الأموات عطف عليه وإن واسمها وجملة يسمع خبرها ومن موصول مفعول به وجملة يشاء صلة . (وما أنت بمسمع من في القبور) الواو عاطفة وما نافية حجازية وأنت اسمها وبمسمع الباء حرف جر زائد ومسمع مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما ومن مفعول مسمع لأنه اسم فاعل وفي القبور متعلقان بمحذوف صلة من . (إن أنت إلا نذير) إن نافية وأنت مبتدأ وإلا أداة حصر ونذير خبر أنت .

(إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً) إن واسمها وجملة أرسلناك خبرها وبالحق متعلقان بأرسلناك وقيل في محل نصب على الحال من الفاعل أي محقين أو من المفعول أي محقاً أو نعت لمصدر محذوف أي إرسالاً ملتبساً بالحق وبشيراً حال ونذيراً عطف على بشير . (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) الواو عاطفة وإن نافية ومن حرف جر زائد وأمة مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ وإلا أداة حصر وجملة خلا خبر إن أي سلف وفيها متعلقان بخلا ونذير فاعل .

البلاغـة :

التمثيل والطباق :

في قوله « الأعمى والبصير » مثل للمؤمن والكافر « والظلمات والنور » مثل للحق والباطل وكذلك « الظل والحرور » و « الأحياء والأموات » مثـل للذين دخلوا في الاسلام والـذين لم يدخلوا فيه وأصروا عـلى الكفر وقد تقدم البحث مستوفياً في التمثيل ولا يخفى الطباق الموجود في كل مما ذكر •

الفوائـد :

الواو في النفي :

قال الزمخشـري : « فإن قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي ؟ قلت : إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي » •

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

اللغــــة :

(جدد) : بضم الجيم وفتح الدال جمـع جدة وهي طريق في الجبل أو غيره أو هي الخطة والطريقة من قولك جـددت الشيء أي قطعته ، قال لبيد بن ربيعة : « أو مذهب جدد على ألواحه » وقال أبو الفضـل : « هي ما يخالف من الطرائق لون ما يليها ومنه جُدة الحمار للخط الذي في ظهره » والمـراد في الجبال ما هو ذو جـدد يخالف لونها لون الجبل •

(غرابيب) : جمع غربيب وهو الأسود المتناهي في السواد يقال أسود غربيب وأسود حلكوك وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب وفي القاموس « وأسود غربيب حالك فأما غرابيب سود فالسود بدل لأن توكيد الألوان لا يتقـدم » وسيأتي المزيد من هـذا البحث في باب الاعراب •

الاعراب :

(وإن يكذبوك فقد كذّب الذين من قبلهم) الواو عاطفة وإن شرطية ويكذبوك فعل الشرط والواو فاعل والكاف مفعول به ، فقد الفاء رابطة لجواب الشرط وقد حرف تحقيق وكذب الذين فعل وفاعل ومن قبلهم

متعلقان بمحذوف صلة وجملة فقد كذب في محل جزم جواب الشرط والأولى أن يكون الجواب محذوفاً تقديره فاصبر كما صبروا وقوله فقد كذب دليل عليه (جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير) جملة جاءتهم حال وهو فعل ماض ومفعول به ورسلهم فاعل وبالبينات متعلقان بجاءتهم وما بعده عطف عليه والمنير صفة لكتاب والمراد بالزبر صحف إبراهيم وبالكتاب المنير التوراة والانجيل . (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) ثم حرف عطف وأخذت الذين كفروا فعل وفاعل ومفعول به والفاء استئنافية وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر لكان مقدم عليها ونكيري اسمها وحذفت الياء في الرسم لمراعاة الفاصلة والنكير بمعنى الانكار أي إنكاري عليهم بالعقوبة والاهلاك ، والاستفهام هنا معناه التقرير أي انه وقع موقعه وصادف أهله .

(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما تقدم من ذكر اختلاف أحوال الناس وأنه أمر مطرد في جميع الكائنات . والهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله مستتر تقديره أنت وان واسمها سدت مسد مفعولي تر وأن واسمها وجملة أنزل من السماء خبرها وماء مفعول أنزل . (فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها) الفاء عاطفة وأخرجنا عطف على أنزل على طريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وبه متعلقان بأخرجنا وثمرات مفعول أخرجنا ومختلفاً صفة لثمرات وهو نعت سببي وألوانها فاعل به ولذلك لم يؤنث لأنه أسند الى جمع تكسير يجوز فيه التذكير والتأنيث وسيأتي سر هذا الالتفات في باب البلاغة . (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) ومن

الجبال الواو استئنافية ومن الجبال الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وجدد مبتدأ مؤخر وسيرد سر هذه الجملة الاسمية في باب البلاغة ، وبيض صفة لجدد وحمر عطف على بيض ومختلف صفة لجدد أيضاً وألوانها فاعل بمختلف ، وقد تقدم نظـيره ولذلك لا يجوز أن تعرب مبتدأ مؤخراً وخبراً مقدماً لأن المطابقة واجبة حينذاك ، وغرابيب عطف على جدد وسود بدل من غرابيب وجعله الزمخشري معطوفاً على بيض أو جــدد ، قال « كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جــدد ومنها ما هو على لون واحد » ثم قال « ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يئول الى قولك ومن الجبال مختلف ألوانها كما قال ثمرات مختلفاً ألوانها » ولم يذكر بعد غرابيب سود مختلف ألوانها كما ذكر ذلك بعد بيض وحمر لأن الغربيب هو البالغ في السواد فصار لوناً واحداً غير متفاوت بخلاف ما تقدم •

(ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك) الواو عاطفة ومن الناس خبر مقدم والدواب والأنعام معطوفان عــلى الناس ومختلف ألوانه نعت لمحذوف هو المبتدأ أي صنف مختلف ألوانه من الناس وكذلك نعت لمصــدر محذوف لمختلف أي اختــلاف كذلك •
(إنما يخشى اللهَ من عباده العلمــاء إن الله عزيز غفور) الجملة تعليل للرؤية لأن الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله فمَنْ كان أعلم به كان أخشى منه • وإنمــا كافة ومكفوفة ويخشى اللهَ فعــل مضارع ومفعول به مقدم ومن عباده حال والعلماء فاعل ، وسيأتي سر هــذا الحصر في باب البلاغة ، وان واسمها وخبراها •

البلاغـة :

انطوت هذه الآيات على فنون رفيعة من البيان نورد منها :

١ ـ الالتفات في قوله « فأخرجنا » فقد التفت عن الغيبة الى التكلم لأن المنة بالاخراج أبلغ من إنزال الماء ، ولإظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبىء عن كمال القدرة .

٢ ـ التدبيج في قوله « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » وقد تقدم أن التدبيج هـو أن يذكر المتكلم ألواناً يقصد الكناية بها والتورية بذكرها عن أشياء من وصف أو مدح أو هجاء أو نسيب أو غير ذلك من الفنون ، وقد أراد الله تعالى بذلك الكناية عن المشتبه مـن الطرق لأن الجادة البيضاء هي الطريق التي كثر السلوك عليها جداً وهي أوضح الطرق وأبينها يأمن فيها المتعسف ولا يخـاف اجتيازها الموغـل في الاسفار والممعن في افتراش صعيد المغاور ، ولهذا قيل ركب بهم المحجة البيضاء ودونها الحمراء ودون الحمراء السوداء كأنهـا في خفائها والتباس معالمهـا ضد البيضاء في الظهور والوضوح ، ولما كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور للعـين طرفين وواسطة بينهما ، فالطرف الأعـلى في الظهور البياض والطرف الأدنى في الخفاء السواد والأحمر بينهما على وضح الألوان والتراكيب، وكانت ألوان الجبال لا تخرج ، في الغالب ، عن هذه الألوان الثلاثة ، والهداية بكل علـم نصب للهداية منقسمة هـذه القسمة ، أتت الآية الكريمة على هذا التقسيم فحصل فيها التدبيج مع صحة التقسيم وهي مسرودة على نمط متعارف ، مسوقة للاعتداد بالنعم على ما هدت اليه

من السعي في طلب المصالح والمنافع وتجنب المعاطب والمهالك الدنيوية والأخروية .

٣ ـ العدول الى الاسمية :

وذلك في قوله « ومن الجبال » فإن إيراد هذه الجملة والجملة التي بعدها وهي « ومن الناس » اسميتين مع مشاركتهما للجملة الفعلية قبلهما في الاستشهاد بمضمون كل من هذه الجمل على تباين الناس في الأحوال ، كما أن اختلاف الجبال والناس والدواب والأنعام فيما ذكر من الألوان أمر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار ، وأما إخراج الثمرات المختلفة فأمر حادث متجدد فعبر عنه بما يدل على الحدوث .

٤ ـ التقديم والتأخير والحصر :

في قوله « إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء » لحصر الخشية بالعلماء كأنه قيل : إن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم ، أما إذا قدمت الفاعل فإن المعنى ينقلب الى أنهم لا يخشون إلا الله وهما معنيان مختلفان كما يبدو للمتأمل .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾

الاعراب :

(إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة) إن واسمها وجملة يتلون صلة وكتاب الله مفعول يتلون وأقاموا الصلاة فعل ماض وفاعل ومفعول به وهي عطف على الصلة داخلة في حيزها • (وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية) عطف أيضاً وأنفقوا فعل وفاعل ومما متعلقان بأنفقوا وجملة رزقناهم صلة وسراً وعلانية منصوبان بنزع الخافض أي في السر والعلانية وفي ذلك إلماع الى الإنفاق كيفما تهيأ ولك أن تنصبهما على الحال أي مسرين ومعلنين وقيل هو إلماع الى الصدقة المطلقة والأحسن فيها أن تكون سراً والزكاة وهي لا تكون إلا علانية• (يرجون تجارة لن تبور) جملة يرجون خبر إن وتجارة مفعول به ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتبور فعل مضارع منصوب بلن وجملة لن تبور صفة لتجارة •

(ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) اللام للعاقبة والصيرورة أو للتعليل ويوفيهم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بلن تبور على معنى أنها لن تكسد لأجل أن يوفيهم أجور أعمالهم الصالحة ، وقيل إن اللام متعلقة بمحذوف دل عليه السياق أي فعلوا ذلك ليوفيهم والهاء مفعول يوفيهم الأول وأجورهم مفعول به ثان ويزيدهم عطف على يوفيهم وان واسمها وغفور خبرها الأول وشكور خبرها الثاني وجملة إن تعليل لما تقدم من التوفية والزيادة ، وأجاز الزمخشري جعل جملة يرجون في محل نصب على الحال أي وأنفقوا راجين ، وخبر إن قوله إنه غفور شكور • (والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق) الذي مبتدأ

وجملة أوحينا صلة واليك متعلقان بأوحينا ومن الكتاب حال وهو مبتدأ أو ضمير فصل والحق خبر هو والجملة الاسمية خبر الذي أو الحق خبر الذي • (مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير) مصدقاً حال مؤكدة أي وموافقاً لما تقدمه من الكتب ولما متعلقان بمصدقاً والظرف متعلق بمحذوف صلة ما ويديه مضاف اليه أي من الكتب التي تقدمته وإن واسمها وبعباده متعلقان بخبير واللام المزحلقة وخبير وبصير خبران لإن أي عالم بما ظهر وما بطن منهم •

ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

اللغة :

(نصب) : تعب وفي القاموس : « نصب كفرح أعيا » وفي المختار : « ونصب تعب وبابه طرب » •

(لغوب) : إعياء من التعب وفي القاموس : « لغب لغباً ولغوباً كمنع وسمع وكرم أعيا أشد الإعياء » وفي المختار : « اللغوب بضمتين التعب والإعياء وبابه دخل ولغب بالكسر لغوباً لغة ضعيفة » فظاهر ما ورد في كتب اللغة أنهما متفقان في المعنى ولكن الزمخشري فرق بينهما تفريقاً دقيقاً فقال : « فإن قلت : ما الفرق بين النصب واللغوب ؟ قلت : النصب والتعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة » .

الاعراب :

(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وأورثنا الكتاب فعل وفاعل ومفعول به ثان وإنما قدم المفعول الثاني قصد التشريف والتعظيم للكتاب وسيأتي معناه في باب البلاغة والذين هو المفعول الاول وجملة اصطفينا صلة الذين ومن عبادنا حال . (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) الفاء تفريعية لأنه قسم عبادة الذين أورثهم الكتاب كما سيأتي ومنهم خبر مقدم وظالم مبتدأ مؤخر ولنفسه متعلقان بظالم وهؤلاء هم القسم الأول ومنهم مقتصد عطف على ما قبله وهم القسم الثاني ومنهم سابق بالخيرات عطف أيضاً وهم القسم الثالث وبإذن الله حال أو متعلقان بسابق وسيأتي تفصيل ذلك في باب الفوائد . (ذلك هو الفضل الكبير) ذلك مبتدأ وهو مبتدأ ثان أو ضمير فصل والفضل الكبير خبر هو والجملة خبر ذلك ، أو خبر ذلك .

(جنات عدن يدخلونها) جنات عدن مبتـدأ وجملة يدخلونها خبر وأعربهـا الزمخشري بدلاً من الفضـل وليس ثمة مانع ولكن الزمخشري تسلل من هـذا الاعراب الى تثبيت عقيدته الاعتزالية كما سيأتي في باب الفوائد لطرافته • (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير) الجملة خبر ثان وقد تقـدم إعرابها في سورة الحج فقد وردت هناك بلفظها فجدد به عهداً • ومن العجيب أن الزمخشري الذي أعرب لؤلؤاً منصوبة بفعـل محذوف في سورة الحج أي ويؤتون قـد أعربها هنا عطفاً على محـل من أساور فقال : « ولؤلؤاً معطوف عـلى محـل من أساور ومن داخلة للتبعيض أي يحلون بعض أساور من ذهب » ولباسهم مبتدأ وفيها حال وحرير خبر• (وقالوا الحمـد لله الذي أذهب عنا الحزن) الواو عاطفة وقالوا فعل ماض أراد به المضارع وعدل الى الماضي للدلالة على التحقيق ، والحمد مبتدأ ولله خبر والذي نعت وجملة أذهب عنا صلة والحزن مفعول به لأذهب الذي تعدى بالهمز وعنا متعلقـان بأذهب • (إن ربنا لغفور شكور) ان واسمهـا واللام المزحلقة وغفور خبر أول لإن وشكور خبر ثان (الذي أحلنا دار المقامة من فضله) بدل من الذي المتقدمة وجملة أحلنا صلة وهو فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به أول ودار المقامة مفعول به ثان أي أنزلنا دار المقامة ومن فضله متعلقان بأحلنا ومن للابتداء أو للتعليل • (لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) جملة لا يمسنا حـال من مفعول أحلنا الأول ويجوز أن تكون حالاً من المفعول الثاني والأول أرجح ويمسنا فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وفيها متعلقان بيمسنا ونصب فاعل ولا يمسنا فيها لغوب عطف على ما تقدم •

البلاغـة :

١ ــ في قوله « ثم أحدثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » استعارة مكنية تبعية ، شبّه اعطاء الكتاب إياهم من غير كد أو تعب في وصوله إليهم بتوريث الوارث •

٢ ــ وفي هذه الآية أيضاً فن « الجمع مع التقسيم » وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر في حكم ثم يقسم ما جمعه أو يقسم أولاً ثم يجمع ، فالأول كالآية المذكورة وقولـه تعـالى « يوم تأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد » إلى آخر الآية •

الفوائـد :

١ ــ الترتيب على مقامات الناس :

قال الزمخشري : « فإن قلت : لم قـدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق ؟ قلت : للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وان المقتصدين قيلل بالاضافة اليهم والسابقين أقل من القليل » وأوضح الخازن هذا المعنى بعبارة أكثر بسطاً فقال : « فإن قلت : لم قـدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق ؟ قلت : قيـل : رتبهم هذا الترتيب عـلى مقامات الناس لأن أحوال الناس ثلاثة : معصية وغفلة وتوبة ، فإذا عصى الرجل دخل في حيز الظالمـين فإذا تاب دخـل في جملة المقتصدين فإذا صحت توبته وكثرت عبادته ومجاهدته دخل في عداد السابقين » •

٢ ــ بين المعتزلة وأهل السنة :

قال الزمخشري : « فإن قلت كيف جعلت جنات عدن بدلاً من

الفضل الكبير ؟ قلت : لأن الاشارة بالفضل الى السبق بالخيرات وهو السبب في الجنات ونيـل الثواب ، فأقام السبب مقام المسبب ، وفي اختصاص السابقين بذكـر الجزاء دون الآخرين ما يوجب الحـذر فليحذر المقتصد وليسلك الظالم لنفسه حذراً وعليهما بالتوبة النصوح ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فإن شرط ذلك صحة التوبة فلا يعلل نفسه بالخدع » وهذا الكلام جار عـلى مذهب المعتزلة أما أهل السنة فيجوزون الغفران بمجرد الفضل ، قال ابن المنير في الرد على الزمخشري : « وقد صدرت هـذه الآية بذكر المصطفين من عبـاد الله ثم قسمتهم الى الظالم والمقتصد والسابق ليلزم اندراج الظالم لنفسه من الموحّدين في المصطفـين وانه لمنهم ، وأي نعمة أتم وأعظم من اصطفائه للتوحيـد والعقائد السالمة من البـدع فما بال المصنف (أي الزمخشري) يطنب في التسوية بين الموحـد المصطفى والكافر المجترىء .

قبسة عن المعتزلة :

هذا والمعتزلة طائفـة من المسلمين يرون أن أفعال الخير من الله وأفعال الشر من الانسان وأن الله تعالى يجب عليه رعاية الأصلح للعباد وان القرآن محدث مخلوق ليس بقديم وأن الله تعالى ليس بمرئي يوم القيامة وأن المؤمن إذا ارتكب الكبيرة كان في منزلة بين المنزلتين يعنون بذلك أنه ليس بمؤمن ولا كافر وأن من دخل النار لم يخرج منها وأن الايمان قول وعمل واعتقاد وأن إعجاز القرآن في الصرف عنه لا أنه

في نفسه معجز ولو لم يصرف العرب عن معارضته لأتوا بما يعارضه وأن المعدوم شيء وأن الحُسن والقبح عقليان وأن الله تعالى حيّ لذاته لا بحياة وعالم لذاته لا بعلم وقادر لذاته لا بقدرة .

ومن مشهوري المعتزلة وأعيانهم الجاحظ وأبو الهذيل العلاف وابراهيم النظام وواصل بن عطاء وأحمد بن حابط وبشر بن المعتمر ومعمر بن عباد السلمي ، وأبو موسى عيسى الملقب بالمزداد ويعرف براهب المعتزلة وثمامة بن أشرس وهشام بن عمر الفوطي وأبو الحسن ابن أبي عمر والخياط وأستاذ الكعبي وأبو علي الجبائي أستاذ الشيخ أبي الحسن الأشعري أولاً وابنه أبو هاشم عبد السلام ، هؤلاء هم رءوس مذهب الاعتزال وغالب الشافعية أشاعرة والغالب في الحنفية معتزلة والغالب في المالكية قدرية والغالب في الحنابلة حشوية ومن المعتزلة أبو القاسم الصاحب اسماعيل بن عباد والزمخشري والفراء النحوي والسيرافي .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

اللغـــة :

(يصطرخون) : يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد ومشقة ، قال الأعشى :

قصـــدت الى عنس لأحدج رحلهـــا
وقد حان من تلك الديـــار رحيلهـــا

فأنّت كمـــا أنّ الأسـير وصـرخت
كصرخـــة حبـــلى أسلمتها قبيلهـــا

أي أنّت كأنين الأسـير في الأول ورفعت برفـع صوتهـا ثانياً كصرخة حبلى عند الطلق تركتها قبيلها التي تخدمها عند الولادة والقبيل والقبول والقابلة التي تقوم بمصلحة المرأة عند الولادة وتتلقى الولد عند خروجـه • والفعل المبدوءة بأحـد أحرف الاطباق وهي الصاد والضاد والطاء والظاء إذا صيغ منها على وزن افتعل وما يتصرف منه أبدلت تاء الافتعال طاء مثال ذلك الأفعال : صلح ، ضرب ، طرد ، ظلم إذا بنينا منها صيغة افتعل قلنا : على القياس : اصتلح ، اضترب ، اطترد ، اظتلم ، ولتخفيف اللفظ أبـدلت التاء طاء والمجانسة بينهمـا ظاهرة فنقلت الى اصطلح ، اضطرب ، اطرد ، اظطلم ، ويجوز في نحو اظطلم وجهان آخران اظّلم واطّلم •

الاعراب :

(والذين كفروا لهم نار جهنم) عطف عـلى قولـه « إن الذين يتلون كتاب الله » والذين مبتدأ وجملة كفروا صلة ولهم خبر مقدم

ونار جهنم مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر الذين • (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) الجملة خبر ثان للذين أو حال منهم ولا نافية ويقضى فعل مضارع مبني للمجهول أي لا يحكم عليهم بالموت وعليهم متعلقان بيقضى والفاء السببية ويموتوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية ولا يخفف عطف على لا يقضى وعنهم يجوز أن يقوم مقام الفاعل ومن عذابها متعلقان بيخفف ويجوز العكس • (كذلك نجزي كل كفور) كذلك نعت لمصدر محذوف ونجزي فعل مضارع وفاعل مستتر وكل كفور مفعول به • (وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل) الواو عاطفة وهم مبتدأ وجملة يصطرخون خبر وفيها متعلقان بيصطرخون وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وجملة النداء وما بعدها مقول قول محذوف في محل نصب على الحال أي قائلين ربنا ، وأخرجنا فعل أمر معناه الدعاء والفاعل مستتر ونا مفعول ونعمل فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الأمر والفاعل مستتر تقديره نحن وصالحاً غير الذي يجوز أن يكونا صفتين لمصدر محذوف أو لمفعول به محذوف ويجوز أن يكون صالحاً نعتاً للمصدر وغير الذي هو المفعول وجملة كنا صلة الموصول وكان واسمها وجملة نعمل خبر كنا •

(أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) الجملة مقول قول محذوف أي فيقال لهم أولم نعمركم ، والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والواو للعطف على مقدر أي ألم نمهلكم ونؤخركم عمراً يتذكر فيه من تذكر أي وقتاً يتيح لكم التفكير لو خطر لكم أن تتفكروا ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ونعمركم فعل مضارع مجزوم

بلم وفاعله مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به وما نكرة مقصودة بمعنى وقتاً فهي في محل نصب على الظرفية الزمانية أو على المصدرية أي تعميراً وجملة يتذكر صفة لما وفيه متعلقان بيتذكر ومن فاعل وجملة تذكر صلة • (وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) الواو عاطفة وجملة جاءكم النذير عطف على أولم نعمركم لأن لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى إخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير ، فذوقوا الفاء الفصيحة لترتيب الأمر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير ، والفاء في فما للتعليل وما نافية وللظالمين خبر مقدم ومن حرف جر زائد ونصير مبتدأ مؤخر محلاً مجرور بمن لفظاً ويجوز أن تكون ما حجازية عند من يجيز تقديم خبرها على اسمها • (إن الله عالم غيب السموات والأرض) ان واسمها وعالم خبرها وما بعده مضاف اليه • (إنه عليم بذات الصدور) ان واسمها وعليم خبرها وبذات الصدور متعلقان بعليم وقد تقدم القول مسهباً في ذات •

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾

اللغـــة :

(خلائف) : جمـع خليفة أي يخلف بعضكـم بعضاً وعبارة الزمخشري : « يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء » هذا ولم نجد مادة توزعت على كثير من المعاني كهذه المادة ومن يرجع اليها في معاجم اللغة ير العجب ، ولذلك جمع بعضهم معانيها في هذه الأبيات :

عـديم خـير حـدّ سيف خَلَفْ
والاستقـا والقَـرن أما الخـُلف
فاسـم لعشب الصيف ثم الخـُلف
للوعـد ليس من صفـات الحـر
ذهـاب شهـوة الطعـام خلفـه
ورقعـة ونبـت صـيف خِلفـه
كـذا اختـلاف الوحش ثم الخُلفه
إسـم الى العيـب وذاك يزري
الولـد الصالـح هـذاك خَلـفْ
وجمـع خِلفـة لرقعـة خِلَفْ
وخُلفـة بالضـم جمعهـا خُلَفْ
لعنب وذاك أسـل الخمـر

الاعراب :

(هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) كلام مستأنف مسوق لبيان أحوال الكافرين الذين غمطوا نعمة الله عليهم بعد أن استخلفهم في الأرض ، وهو مبتدأ والذي خبره وجملة جعلكم صلة وجعلكم فعل وفاعل ومفعول به أول وخلائف مفعول به ثان وفي الارض متعلقان بخلائف أو بمحذوف صفة له . (فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً) الفاء الفصيحة ومن اسم شرط جازم مبتدأ وكفر فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة وعليه خبر مقدم وكفره مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط والواو عاطفة ولا نافية ويزيد الكافرين كفرهم فعل مضارع ومفعول به مقدم وكفرهم فاعل مؤخر وعند ربهم ظرف مكان متعلق بمحذوف حال وإلا أداة حصر ومقتاً مفعول به ثان أو تمييز . (ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً) عطف على الجملة السابقة وكررت للتوكيد ولزيادة التقرير على رسوخ الكفر في نفوسهم واقتضاء الكفر لكل واحد من الأمرين الهائلين وهما المقت والخسار (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أرأيتم تقدم القول فيها أنها بمعنى أخبروني والرؤية هنا تتعدى لاثنين كما سيأتي وقيل الاستفهام هنا حقيقي ولم تضمن الكلمة معنى أخبروني ، ورأيتم فعل وفاعل وشركاءكم مفعول به أول لرأيتم والذين صفة وجملة تدعون صلة ومن دون الله حال .

(أروني ماذا خلقوا من الأرض) أروني فعل أمر وفاعل ومفعول به والمراد بالأمر التعجيز والجملة معترضة وأعربها الزمخشري بدلاً من أرأيتم ورد عليه أبو حيان بما لا يتسع له المجال . وجملة ماذا خلقوا في محل نصب مفعول به ثان إما لرأيتم وإما لأروني فالمسألة من

باب التنازع أو أن جملة أروني اعتراضية وماذا يجوز فيها الوجهان المعروفان لها أو إن جملة أروني بدل من جملة أرأيتم كأنه قيل أخبروني عن شركائكم أروني أي جزء خلقوا ومن الأرض متعلقان بخلقوا • (أم لهم شرك في السموات) أم حرف عطف وهي منقطعة فهي بمعنى بل ويكون قد أضرب عن الاستفهام الأول وشرع في استفهام الآخر والاستفهام إنكاري ولهم خبر مقدم وشرك مبتدأ مؤخر وفي السموات متعلقان بشرك أي شركة • (أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه) عطف على ما تقدم وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به أول وكتاباً مفعول به ثان والفاء حرف عطف وهم مبتدأ وعلى بينة خبر ومنه صفة لبينة • (بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً) إن نافية ويعد الظالمون فعل مضارع وفاعل وبعضهم بدل من الظالمون بدل بعض من كل وبعضاً مفعول يعد وإلا أداة حصر وغروراً منصوب بنزع الخافض أو نعت لمصدر محذوف أي إلا وعداً باطلاً وذلك بقولهم إن الأصنام تشفع لنا عند الله •

* إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾

الاعراب :

(إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) إن واسمها وجملة يمسك السموات والأرض خبرهـا ، وأن تزولا أن وما في حيزها في محل نصب مفعول لأجله أي مخافة أن تزولا وقيل ضمن يمسك معنى يمنع فتكون أن وما في حيزها في محـل نصب مفعول به ثان أو عـلى نزع الخافض أي عن أن تزولا والجار والمجرور متعلقان بيمسك قاله الزجاج وقيل أن وما في حيزها في محل نصب بدل اشتمال من السموات أي يمسك زوالهما • (ولئن زالتا إن أمسكهما من أحـد من بعده) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وإن شرطية وزالتا فعل ماض في محل جزم فعـل الشرط وإن نافية وأمسكهما فعل ماض ومفعول به ومن حرف جر زائد وأحد مجرور لفظـاً فاعل أمسكهما محـلاً ومن بعده حال أو صفة لأحد ، فعلى الأول يكون المعنى من بعد إمساكه وعـلى الثاني يكون المعنى سواه أي من أحـد غيره ، وجملة إن امسكهما لا محل لها لأنهـا جواب القسم وجواب الشرط محـذوف دل عليه المذكور على حد قوله في الخلاصة :

واحـذف لـدى اجتمـاع شرط وقسم

جـواب ما أخـرت فهـو ملتـزم

(إنه كان حليماً غفوراً) ان واسمها وجملة كان خبرها وحليماً خبر كان وغفوراً خبر ثان • (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهـدى من إحدى الأمم) أقسموا فعـل وفاعل وبالله متعلقان بأقسموا وجهد أيمانهم منصوب على المصدرية أو على الحال

أي جاهدين ، قال الفراء : « الجهد بالفتح من قولك اجهد جهدك أي ابلغ غايتك والجهد بالضم الطاقة وعند غير الفراء كلاهما بمعنى الطاقة واللام واقعة في جواب القسم وان شرطية وجاءهم نذير فعل ومفعول به وفاعل واللام جواب القسم أيضاً ، ويكونن فعل مضارع مرفوع لعدم اتصاله المباشر بنون التوكيد وأصله ليكونونن حذفت إحدى النونات كراهة توالي الأمثال فلما التقى ساكنان حذفت الواو وبقيت الضمة دليلاً عليها فهو مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال والواو المحذوفة اسمها وأهدى خبرها ومن إحدى الأمم متعلقان بأهدى أي من كل واحدة منها .

(فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً) الفاء عاطفة ولما ظرفية حينية أو رابطة متضمنة معنى الشرط وجاءهم نذير فعل ومفعول به وفاعل وجملة ما زادهم جواب لما لا محل لها ، قال الشهاب الحلبي : « وفيه دليل على أنها — أي لما — حرف لا ظرف إذ لا يعمل ما بعد ما النافية فيما قبلها » وإلا أداة حصر ونفوراً مفعول به ثان أو تمييز . (استكباراً في الأرض ومكر السيىء) استكباراً مفعول لأجله أي لأجل الاستكبار أو بدل من نفوراً أو حال أي حال كونهم مستكبرين وفي الأرض متعلقان باستكباراً ومكر السيىء عطف على استكباراً أو على نفوراً وهو من إضافة الموصوف الى صفته والأصل المكر السيىء أو أن هناك موصوفاً محذوفاً أي مكر العمل السيء . (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) الواو حالية ولا نافية ويحيق المكر فعل مضارع وفاعل والسيىء صفته وإلا أداة حصر وبأهله متعلقان بيحيق . (فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً) الفاء عاطفة وهل حرف استفهام وينظرون فعل مضارع

وفاعــل أي ينتظرون وإلا أداة حصــر وسنة الأولين مفعول به وسنة مصدر أضيف الى مفعوله تارة كما هنا ولفاعله أخرى كقولــه : فلن تجد لسنة الله لأنه تعالى سنها بهم فصحت إضافتها الى الفاعل والمفعول ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتجــد فعــل مضارع منصوب بلن ولسنة الله متعلقان بتبديلاً وتبديلاً مفعول تجد •

البلاغــة :

١ ــ ائتلاف اللفظ مع المعنى :

في قوله « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » فن ائتــلاف اللفظ مع المعنى أي أن تكون ألفاظ المعنى المراد يلائم بعضها بعضاً ليس فيها لفظة نافرة عن إخوانها غير لائقة بمكانها أو موصوفة بحسن الجوار بحيث إذا كان المعنى غريباً قحاً كانت ألفاظه غريبة محضة وبالعكس ، ولما كانت جميع الألفاظ المجاورة للقسم في هذه الآية كلها من المستعمل المتداول لم تأت فيهــا لفظــة غريبة تفتقر الى مجاورة ما يشاكلهــا في الغرابة ،وقد تقدم هذا البحث بتفصيل واف في سورة يوسف •

٢ ــ ارسال المثل :

وفي قوله « ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله » فن إرسال المثل وقد تقدمت الاشارة الى هذا الفن مع إيراد أمثال كثيرة وخاصة في شعر أبي الطيب وهو هنا واضح لأن المكر لا يقع إلا على أهله ، وفي أمثالهم: « من حفر مغواة وقع فيها » قال في الصحاح : وقــع الناس في أغوية أي في داهية والمغوّيات بفتح الواو المشددة جمع المغواة وهي حفرة

كالزبية ، يقال من حفر مغويات وقع فيها . قال كعب لابن عباس : في التوراة من حفر حفرة لأخيه وقع فيها ، فقال له ابن عباس : إنا وجدنا هذا في كتاب الله : « ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله » .

٣ ــ الاسناد المجازي :

وفي قوله : « ما زادهم إلا نفورا » إسناد مجازي لأن إسناد الزيادة للنذير مجاز مرسل لأنه سبب في ذلك .

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

الاعراب :

(أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) كلام مسوق للاستشهاد على جريان سنته تعالى على تعذيب المكذبين ، والهمزة للاستفهام الانكاري والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام أي ألزموا مساكنهم ولم يسيروا ، ولم حرف نفي وقلب

وجزم ويسيروا فعـل مضارع مجزوم بلم والواو فاعـل وفي الأرض متعلقان بيسيروا ، فينظروا الفاء عاطفـة وينظروا عطف عـلى يسيروا وكيف اسم استفهـام في محل نصب خبر كان المقـدم وعاقبة اسمها المؤخر والجملة في محل نصب مفعول ينظروا والذين مضاف إليه ومن قبلهم متعلقان بمحذوف صفة الذين • (وكانوا أشد منهم قوة) الواو للحال وكانوا كان واسمها وأشد خبرها ومنهـم متعلقان بأشد وقوة تمييز والجملة في محل نصب على الحال • (وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض) الواو عاطفة وما نافية وكان واسمها واللام لام الجحود ويعجزه فعـل مضارع منصوب بأن مضمرة بعـد لام الجحود والهاء مفعول به ومن حرف جر زائد وشيء مجرور لفظاً مرفوع على أنه فاعل شيء وفي السموات صفة لشيء ولا في الأرض عطف على في السموات •

(إنه كان عليماً قديراً) ان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو وعليماً وقديراً خبراها • (ولو يؤاخـذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) الواو عاطفة ولو شرطية ويؤاخذ الله الناس فعل مضارع وفاعل ومفعول به وبما متعلقان بيؤاخـذ وما موصولة أو مصدرية أي بالذي كسبوه أو بكسبهم وعلى كل فجملة كسبوا لا محل لها وجملة ما ترك لا محـل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعـلى ظهرها متعلقان بترك ومن حرف جز زائد ودابة مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول ترك • (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا) الواو عاطفة ولكن مخففة مهملة فهي للاستدراك ويؤخرهم فعل مضارع ومفعول به وفاعل مستتر والى أجـل متعلقان بيؤخرهم ومسمى نعت لأجـل ، فإذا الفاء

عاطفة وإذا ظرف مستقبل وجملة جاء أجلهم في محل جر بإضافة الظرف اليها وجواب إذا العامل فيها محذوف تقديره فيجازيهم والفاء رابطة وان واسمها وجملة كان خبرها وبعباده متعلقان ببصيراً وبصيراً خبر كان •

البلاغة :

في قوله « ما ترك على ظهرها الخ » استعارة مكنية فقد شبه الأرض بالدابة التي يركب الانسان عليها ثم حذف المشبه به وهو الدابة وأبقى لها شيئاً من لوازمها وهو الظهر ، ولزاده في حاشيته على البيضاوي سؤال لطيف نورده بنصه قال : « فإن قيل كيف يقال لما عليه الخلق من الأرض وجه الأرض وظهر الأرض مع أن الظهر مقابل الوجه فهو من قبيل إطلاق الضدين على شيء واحد قلت صح ذلك باعتبارين فإنه يقال لظاهرها ظهر الأرض من حيث أن الأرض كالدابة الحاملة للأثقال ويقال له وجه الأرض لكون الظاهر منها كالوجه للحيوان وإن غيره كالبطن هو الباطن منها » •